الصلات الحضارية بين بلاد النهرين والمراكز الحضارية في شمال شبه الجزيرة العربية في العصرين الأشوري والبابلي الحديث

د.فوزية عبد الله محمد عبد الغني•

مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول الصلات الحضارية بين بلاد النهرين و المراكز الحضارية في شمال شبه الجزيرة العربية منذ أوائل الألف الأول ق.م. ، وذلك من خلال إلقاء الضوء على الأدلة النصية والتصويرية التي جاءت في حوليات الملوك الآشوريين والبابليين في عصورهم الحديثة أو المتأخرة ، ومثلت في نقوشهم على جدران قصورهم في نمرود(كالح) ، وخورسباد، ونينوى، وبابل.

وكذلك تبرز الدراسة أهمية الدور الذي لعبته المناطق العربية بصفة عامة وشمال شبه الجزيرة العربية بصفة خاصة بالنسبة لبلاد النهرين ودول الشرق الأدنى القديم، حيث لعبت طرق التجارة البرية دورا مهما في ازدهار حضارات شمال الجزيرة العربية وجنوبها، واستقرار العلاقات السلمية مع الحضارات المجاورة عبر هذه المسارات التجارية ، فمع الألف الأول ق.م. لم تكن شعوب الجزيرة العربية مجرد قبائل رحل ، بل في حقيقة الأمر نجدها قد حققت وطورت ثقافات متماسكة ومستقرة في عدة مناطق من الجزيرة العربية.

وسوف يتناول البحث العناصر التالية:

أولاً : أهمية موقع شبه الجزيرة العربية .

ثانياً :الدور البارز لأهم الطرق التجارية البرية في شبه الجزيرة العربية .

ثالثاً :أهم المراكز الحضارية في شمال شبه الجزيرة العربية منذ بداية الألف الأول ق.م. وحتى القرن الخامس ق.م.

رابعاً : الأدلة النصية والتصويرية على وجود صلات حضارية بين بلاد النهرين وشمال شبه الجزيرة العربية في العصر الآشوري الحديث.

خامساً : الأدلة النصية التصويرية على وجود صلات حضارية بين بلاد النهرين وشمال شبه الجزيرة العربية في العصر البابلي المتأخر.

سادسا : نتائج البحث

أولاً : أهمية موقع شبه الجزيرة العربية :

يمتاز هذا الإقليم بموقع جغرافي مهم فهو حلقة اتصال بين الشرق والغرب[١]، أي بمثابة جسر يربط آسيا بأوربا من ناحية، وأفريقيا من ناحية أخرى، ولذلك كان أهم ظاهرة في تاريخه هو أنه كان منطقة عبور، فكان ملتقى التجار من الشرق والغرب،

• فوزية عبد الله محمد عبد الغني : أستاذ مساعد بكلية الآثار – جامعة القاهرة – قسم الآثار المصرية.

[1] Hiskett , M. The Story of The Arabs , London ,1957 , p. 7ff

ومن الجنوب والشمال، فربطت طرق تجارة القوافل التي تخترق أراضي الخليج العربي بالأراضي المطلة على البحر الأحمر.[٢]

ولقد توزعت مناطق التجمع والتحضر في الأجزاء الوسطى والشمالية من شبه الجزيرة العربية (أي فيما تضمه الآن المملكة العربية السعودية) على نحو ما توزعت به في الجنوب، وانتشر أغلبها حول طرق التجارة الرئيسية الواصلة بين أجزاء شبه الجزيرة والمؤدية منها إلى البلاد المجاورة، كما انتشر على مناطق الحواف بين أطراف الصحراء وبين حدود دول الهلال الخصيب القريبة منها [٣]

ولم تكن الجزيرة العربية تعيش في عزلة خلال العصور القديمة ، فقد كانت على اتصال وطيد بجيرانها، بحكم موقعها الجغرافي، وكانت محصلة هذه العلاقات والاتصالات تأثيرات ومؤثرات فاعلة، حيث أخذت منها الأمم المجاورة وأعطتها العديد من أساليب حياتها، وقد تحققت هذه الاتصالات بأساليب متعددة أبرزها العلاقات التجارية المتبادلة التي كان للطرق البرية والبحرية دور أساسي فيها.[٤]

فقد ربطت شبه الجزيرة العربية مع ما جاورها من بلدان علاقات تجارية منذ عصور ما قبل التاريخ، كمصر القديمة وبلاد النهرين وبلاد الشام ، فقد أشارت النقوش القديمة للسومريين والآشوريين والبابليين إلى التبادل التجاري بين العرب وبين هذه الشعوب سواء عن طريق الخليج العربي أو عبر الطرق البرية منذ الألف الثالث ق.م. [٥] ولم تقتصر الحركة التجارية - التي جعلت أجزاء شبه الجزيرة العربية على اتصال دائم مع المناطق المتاخمة لها بشكل أوسع - على التحركات السلمية ، وإنما امتدت لتشمل تحركات من نوع آخر تتم بشكل توسعي سياسي وعسكري ، وكانت عادة تتخذ شكل حروب أو غارات تقوم بها القوات الآشورية أو البابلية في عصورها الحديثة بشكل خاص على المناطق الواقعة إلى غربها وعلى شمال شبه الجزيرة العربية، وفي أثناء هذه التوسعات سواء أكانت مؤقتة أو طويلة الأمد ، كانت في حد ذاتها نوعا من استمرار الصلات الحضارية وإن تم بشكل عنيف داخل دائرة هذه الشعوب.(٦)

---

[٢] عبد الفتاح صديق عبد اللاه،جغرافية شبه الجزيرة العربية المعاصرة، الرياض، ٢٠١٠،ص ١٦

[٣] عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة،القاهرة، ١٩٨٨،ص ١٣٨

[٤] تاريخ النقل والتجارة بالجزيرة العربية منذ العصر الحجري وحتى الإسلام ،أنظر :
http//www.archaeology.land/forums/viewtopic.

[٥] عن العلاقات بين حضارة سومر وشرق الجزيرة العربية انظر :عبد الله حسن مصري ، آثار شرق الجزيرة العربية ودورها في نشأة حضارة سومر ، مجلة الدارة ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، ١٩٧٦، ص ٦٦-٧٥

[٦] لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، الإسكندرية ،١٤٢٦، ص٨٧

ثانياً : الدور البارز لأهم الطرق التجارية البرية في شبه الجزيرة العربية: .

كثرت الطرق التجارية بتعدد المراكز والمدن التجارية، وأصبح جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وجنوبها مركز إشعاع تخرج منه القوافل التجارية إلى الشمال، كما كانت موانئ الخليج العربي مركزاً للإشعاع الثاني للطرق والدروب الصحراوية ، فمنه تخرج الطرق إلى غرب شبه الجزيرة وإلى جنوبها وشمالها الغربي . [٧]

وكان من المنطقي مع التوسع الأشوري والبابلي أن يحدث احتكاك عسكري بين القوات الأشورية والبابلية وبين بعض المناطق العربية في شمال شبه الجزيرة العربية ، في العصر الأشوري والبابلي المتأخر [٨]

ويمكن إجمال أهم تلك الطرق فيما يلي :

- **الطريق الجنوبي الشمالي :** ويبدأ من الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية حيث ممالك سبأ ومعين وحمير وأوسان وقتبان ، حيث يتجه نحو الشمال مخترقا الحدود الشمالية لمنطقة سبأ وينطلق من مدينة مأرب مارا بعدة مدن إلى أن يصل إلى البتراء، ثم يتخذ بعد ذلك شكل ممر ضيق يقع في أرض المعينيين، ثم يستمر الطريق شمالا إلى ديدان (العلا الحالية) ثم إلى مدين (البدع حالياً)، ثم يواصل إلى أيلة (العقبة حاليا)، ثم بعد ذلك إلى البتراء عاصمة دولة الأنباط . [٩]

- **الطريق الثاني :** يبدأ من عدن مارا بمدينة قانا (قنا) في بلاد اليمن وحضرموت مارا بنجران، وهنا يتجه فرع منه شمالا بشرق في اتجاه وادي الدواسر ويمر بقرية الفاو ثم الأفلاج فاليمامة (الخرج)، حيث يتفرع منه طريقان آخران، أحدهما يتجه شرقا نحو الخليج العربي، والآخر شمالا تيماء و(دومة الجندل) صوب العراق، ويتابع الطريق الرئيسي حتى يصل إلى البتراء ثم غزة، ويتفرع منه فرع إلى بلاد الشام وآخر إلى مصر.[١٠]

- **الطريق الثالث :** وهو الذي يأتي من منطقة حضرموت وعمان متجها عبر الحافة الشرقية للربع الخالي إلى منطقة اليمامة، ثم يواصل إلى الجرها (الجرعاء)* *على

---

[٧] محمد بيومي مهران ، تاريخ العرب القديم ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤، ص ١١٨

[٨] محمود طه أبو العلا، جغرافية شبه جزيرة العرب، دراسة جغرافية عامة، الجزء الأول، القاهرة،١٩٩٥، ص٢٣

[٩] الكتاب المئوي لوزارة النقل بالمملكة العربية السعودية ، انظر :
http://www.mot.gov.sa/HandradBook_First_1_B.asp

[١٠] عبد الرحمن طيب الأنصاري ، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية ، مجلة الدارة ، المجلد الأول ، العدد الأول ، ١٩٧٥ ، ص ٧٨

* يرجح أن منطقة الجرهاء القديمة لم تكن قاصرة على مدينة الجرهاء التجارية وميناؤها على الخليج الذي ربما كان "العقير" ، بل شملت قدرا لا بأس به من الأراضي المجاورة ، وأن الجرهائيين كانوا يسيطرون على بقعة كبيرة في منطقة الإحساء الحالية في الشمال الشرقي من المملكة العربية السعودية ، وأن الجرهائيين كانوا يستخدمون الطرق البرية في الأغلب ،

الخليج العربي(في الشمال الشرقي من المملكة العربية السعودية حاليا)، ثم إلى منطقة اليمامة ثم يصعد إلى الشمال و يتفرع منها فرعان، الفرع الأول يتجه نحو الشرق إلى العراق إما براً أو في قوارب تبحر في الخليج العربي حتى تصل إلى نهر الفرات ومن هناك تستأنف رحلتها البرية إلى حيثما توجد أسواق المنطقة، أما الفرع الثاني فيتجه إلى الشام حيث يلتقي بفروع الطريق الشمال الغربي نحو تيماء ومنها إلى بلاد الشام أو العراق.[١١]

- والطريق الرابع : يخترق الجزيرة العربية شمالا بشرق حيث يبدأ من مكة وينتهي بوادي الرافدين ، واشتهر باسم درب الحيرة ، والذي أصبح طريقا للحج والعمرة في صدر الإسلام وعرف باسم درب زبيدة . [١٢]

أما عن أهمية الطرق التجارية البرية في شبه الجزيرة العربية:

فقد لعبت التجارة دورا بارزا في حياة سكان شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة التي سبقت الإسلام ، ويمكن إيجاز أهمية الطرق التجارية البرية فيها فيما يلي:

١- أن تلك الطرق أدت إلى تغييرات أساسية في البنية الأساسية للمجتمع القبلي، وتجاوزها إلى نظام الاتحادات القبلية، والتي كان الهدف منها حماية طرق التجارة من الأخطار الخارجية التي تهددها، فكل مجموعة من القبائل لها زعيم عرف باسم "ملك"، حيث ذكرت إحدى المصادر الآشورية التي ترجع إلى شلمانصر الثالث عدة معارك دارت بينه وبين جندبو (ملك العرب) الذي كون مع عدد من ملوك الآراميين حلفا لرد الهجوم الآشوري في موقعة عرفت باسم "قرقر"(وهو ما سيلي ذكره بالتفصيل).[١٣]

٢- كما أدت الطرق التجارية البرية دوراً مهما في ازدهار حضارات شمال الجزيرة العربية وشرقها وجنوبها، إذ ربطت مناطق البخور في جنوب الجزيرة وما ورائها

وأحياناً ينقلون كثيرا من بضائعهم بالقوارب إلى بابل ، ومن هناك يصعدون بها إلى الفرات ، ثم يحملونها براً إلى كافة الأرجاء ، كما ورد في الكتابات الكلاسيكية.

انظر : محمد السيد عبد الغني ، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة ، الإسكندرية ، ١٩٩٩، ص ٩٣-٩٤، ٩٨ ؛ لطفي عبد الوهاب يحي ، العرب في العصور القديمة، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٣١٨ .

[١١] شوقي شعث ، مدن القوافل في شبه الجزيرة وبلاد الشام ، محطات لتبادل السلع والأفكار والفنون والعادات والتقاليد ، مجلة التراث العربي ، مجلد ٢٤ ، العدد ٩٦ ، ٢٠٠٤ ، ص ١٤١

[١٢] الكتاب المئوي لوزارة النقل بالمملكة العربية السعودية ، انظر :

http://www.mot.gov.sa/HandradBook_First_1_B.asp

عن الكشوف الأثرية في درب زبيدة انظر: عبد الستار الغزاوي ، طريق الحج القديم / درب زبيدة – محطة أم القرون ، مجلة سومر ، مجلد ٤٤ ، الجزء الثاني ، ١٩٨٥، ص ١٩٩-٢١٠

١٣الكتاب المئوي لوزارة النقل بالمملكة العربية السعودية ، انظر :

http://www.mot.gov.sa/HandradBook_First_1_B.asp

بأسواقه في شرقها على الخليج العربي، وفي بلاد النهرين، ومصر القديمة،[١٤] فقد كان لمنتجات الجزيرة العربية من البخور والمر والأعشاب والنباتات الطبية أهمية قصوى في المناسبات والطقوس الدينية، وإن زادت مصر القديمة فاستخدمتها في عمليات التحنيط التي اشتهرت بها، ويبدو أن أفضل أنواع البخور كانت تنمو في مدرجات الجنوب العربي في ظفار.[١٥]

حيث حصل معظم سكان الجزيرة العربية على امتيازات نتيجة موقعهم على طرق القوافل وعملهم كوسطاء في التبادل التجاري (الترانزيت) للبخور وغيرها من السلع الأخرى، الذي كان مرهونا بالمرور في أراضي الجزيرة العربية ، أو حولها في الطرق البرية من وإلى الدول الأخرى ، كبلاد النهرين ، ومنطقة حوض البحر المتوسط . [١٦]

٣- نشأة المدن ذات الارتباط التاريخي في منطقة ما من الجزيرة العربية على طريق تجاري بري، والتي أطلق عليها " مدن القوافل"، فقد أشاعت طرق القوافل الرخاء والثراء بين أهل هذه المدن الواقعة على تلك الطرق، حيث كان قاطنوها يقدمون المأوى والطعام والحراسة والمساعدة على حركة البيع والشراء، مقابل أتعاب يتقاضونها من أصحاب القوافل أو أصحاب التجارة . [١٧]

ولعل من أهم العوامل التي ساعدت على تطوير حركة النقل التجاري في الجزيرة العربية وازدهارها استئناس الجمل واستخدامه في نقل الأحمال الثقيلة لمسافات بعيدة، وذلك بحكم قوة احتماله وصبره الشديدين على تحمل الجوع والعطش، فساعد ذلك على سرعة التنقل عبر السهول والصحاري مترامية الأطراف، ويرجح أن أقدم السجلات التاريخية الخاصة باستخدام الجمل تعود لحوالي ١١٠٠ ق.م. ، وذلك عندما قام المديانيون من شمال الجزيرة العربية بقيادة أول غزوة بالجمال إلى فلسطين (١٨).

١٤عبد الفتاح صديق عبد اللاه ، جغرافية شبه الجزيرة العربية المعاصرة ، ص١١٨

Whitehouse , D. Arabian Peninsula ; in : Archaeological Atlas of the World , London , 1975, p.85-86

١٥عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ص ٤٠-٤١

Groom ,N. Frankincense and Myrrh : A Study of Arabian Incense Trade , London, 1981, p.341

16Hoyland ,R.G. Arabia and Arabs from the Bronze Age to the coming of Islam ,London , 2001,p.107

١٧شوقي شعث ، مدن القوافل في شبه الجزيرة وبلاد الشام ، محطات لتبادل السلع والأفكار والفنون والعادات والتقاليد ، مجلة التراث العربي ، مجلد ٢٤ ، العدد ٩٦ ، ٢٠٠٤ ، ص ١٤٢، ١٥٢

Hoyland ,R.G. Op.cit., p.109

١٨عبد الله سعود السعود ، استئناس الجمل وطرق التجارة الداخلية في الجزيرة العربية، أطلال (حولية الآثار السعودية) ، العدد الرابع عشر ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ٩٩ وما تلاها

Koler-Rollerfson, I . Camels and Camel Pastoralism in Arabia ; in : The Bibical Archaeologist ,vol.56 , No.4, 1993,pp.180-188

وعلى أي حال ففي القرن الأول الميلادي تحولت التجارة البرية إلى البحر الأحمر فاضمحلت هذه الطرق، وأصبح الطريق البحري هو المفضل ، فكانت السلع هي كل ما خف وزنه وغلا ثمنه.(١٩)

ثالثاً :أهم المراكز الحضارية في شمال شبه الجزيرة العربية منذ بداية الألف الأول ق.م. وحتى القرن الخامس ق.م. :.

ولعل هذا الحديث عن الطرق التجارية يقودنا إلى إلقاء الضوء على أهم الدول والمراكز الحضارية التي استقرت حول تلك الطرق .

حيث تشير المقابر التي عثر عليها في شمال الجزيرة العربية إلى أن الرخاء النسبي قد شمل المدن والممالك في شمالها، وشمالها الغربي، وذلك بسبب إستراتيجية مركزها على الطريق الرئيسي البري، ولخصوبة أرضها نسبياً، وهطول كمية من الأمطار تكفي لقيام حياة زراعية مستقرة .(٢٠)

وفيما يلي سنلقي الضوء على بعض المراكز الحضارية في شمال الجزيرة العربيةـ ذات الصلة بموضوع البحث - منذ بداية الألف الأول ق.م. وحتى القرن الخامس ق.م. :.

١- يرجح أن نفوذ **دولة سبأ** قد امتد إلى المناطق الشمالية من شبه الجزيرة العربية وفي شمالها الغربي ، فقد استقرت **جالياتهم التجارية** حول واحة تيماء إلى الشمال الشرقي من واحة العلا أو ددان ، لترعى مصالحها التجارية لدولتها على طرق التجارة ، ويدل على ذلك أن جاء ذكرهم في النصوص الآشورية ، التي رأت سبأ أن من مصلحتها أن تنتفع من الاتجار معهم ، فبعثوا بهداياهم باسم ملوك دولتهم الجنوبية لدولة آشور .(٢١)

٢- ليس من المستبعد أن **الجاليات المعينية** قد استقرت في شمال الجزيرة العربية، ويؤكد ذلك ما جاء في التوراة(سفر القضاة ١٠-١٢) من أن "الصيدونيين والعمالقة والمعونيين كانوا يضايقون بني إسرائيل وقت خروجهم من مصر"، وإذا كان تأريخ هذه الواقعة محل جدل بين العلماء، إلا أنه يعنينا أن المعينيين هنا كانوا في شمال الجزيرة العربية، وأنه بدأ نفوذهم هناك على وجه التقريب منذ النصف الثاني من الألف الثاني ق.م.، كما أنها استمرت أيضا حتى أواخر القرن الثاني ق.م.(٢٢)

فمن المعروف أن **دولة معين** قد حكمت منطقة **العلا** حوالي قرنين من الزمان، وتقع في وادي القرى، وكانت تسمى قديما "ددن" أو "ديدان" ، وقد اختلف العلماء في مدلول الكلمة ، فهناك من فهمها على أنها اسم للمكان نفسه، أو قرن بينها وبين اسم

١٩محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ١١٨-١١٩

٢٠عبد الرحمن طيب الأنصاري ، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية ، مجلة الدارة ، المجلد الأول ، العدد الأول ، ١٩٧٥ ، ص ٧٩

٢١عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ص ٤٨-٤٩

٢٢محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ١٩٣-١٩٤ ، ١٦٧

المعبود "دد" الذي كان يعبد لدى الساميين الشماليين، وقد سكنت مدينة ددن أو العلا مجموعة من القبائل العربية واستطاعت أن تكون دولا يمكن أن نطلق عليها " دول مدن"، امتد تاريخها بين القرن السادس ونهاية القرن الثالث ق.م.، وهذه الدول هي دولة ديدان، تليها دولة لحيان، ثم وقعت تحت الحكم المعيني، الذي انتهى على يد الأنباط من الشمال وقد حدد العلماء تاريخ **دولة ديدان** بأنه ما بين القرن السادس والقرن الخامس ق.م.، وربما أنها عاشت لفترة أطول من ذلك، أما نظامها السياسي فهو نظام ملكي يغلب عليه الطابع الوراثي .

٣- أما **دولة لحيان** فقد امتد نفوذها ليشمل معظم شمال الجزيرة العربية ، وأطلق اسمها على خليج العقبة لسيطرتها على تجارته، فكان اسمه القديم خليج لحيان، وكانت عاصمتها على ما يبدو(الخريبة) وهي جزء من مدينة العلا الحالية، ولا نستبعد وجود جاليات لحيانية عاشت في نجد والإحساء حفاظاً على نفوذها التجاري في شمال الحجاز، أما اتساع مملكة لحيان شمالاً فمن المحتمل أن يكون قد وصل إلى البتراء، إذا أخذنا تسمية خليج العقبة بخليج لحيان في الاعتبار، وقد حدد العلماء تاريخ دولة لحيان بين بداية القرن الخامس ونهاية القرن الثالث ق.م.، كما نعلم من آثار المنطقة أن دولة لحيان قد انتهت على يد المعينيين، الذين استولوا عليها فيما بين نهاية القرن الثالث والقرن الأول ق.م.[٢٣]

٤- أما **الأنباط** فقد بسطوا سلطانهم المادي والروحي على بلاد الحجاز الشمالية وفرضوا على أهلها حضارتهم وثقافتهم، واستخدموا في الكتابة الخط النبطي.[٢٤]

وقد تباينت الآراء حول نسب الأنباط، فيرى البعض أنهم من عرب الحجاز، ويرى البعض أنهم من بلاد النهرين من قوم نبوخذ نصر البابلي الذي أتى بهم كجنود ضمن حملته على فلسطين في القرن السادس ق.م.، وأنه بعد أن شرد اليهود أسكن جنده من الأنباط (بترا).

ويرجح أن أول ذكر للأنباط ورد في نص الملك الآشوري آشور بانيبال في نهاية القرن السابع ق.م.، حيث ورد ذكر أحد ملوكهم ضمن القائمة التي هزمها العاهل الآشوري، بينما هناك من يرى أن أول ذكر للنبط لا يتعدى القرن الرابع ق.م.، وذلك خلال الانتصارات التي حققها الاسكندر الأكبر في الشرق .[٢٥]

٥- وليس من المستبعد أيضاً أن بعض **جاليات القتبانيين** قد استقرت في شمال الجزيرة الغربي ووسطها، مع جاليات السبأيين وغيرهم – قبل قيام كل من دولة سبا

٢٣عبد الرحمن طيب الأنصاري ، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية ، ص٧٩،٨٠

٢٤حلمي محروس إسماعيل ، الشرق العربي القديم وحضارته ، بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص ٢٢٦

٢٥أمين عبد الفتاح محمود عامر، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، الرياض، ٢٠٠٦، ص ١٩٥،١٩٧

أو دولة قتبان - للحفاظ على وساطتهم التجارية مع مصر القديمة وغيرها من الدول الأخرى.(٢٦)

ويؤكد ذلك قيام التبادل التجاري بين الجنبتيين (القتبانيين) ومصر القديمة في عصر الدولة الحديثة ، حيث ورد ذكرهم في نصوص رحلة بونت ، وفي حوليات الملك تحتمس الثالث خلال القرن الخامس عشر ق.م. ، وقد ساهم القتبانيون في تمهيد الطرق التي ساهمت في نجاح تجارتهم فيما بعد .(٢٧)

٦- وجدير بالذكر أن منطقة **تيماء** التي ظهرت على المسرح السياسي منذ القرن الثامن ق.م.، وذكرت في الحوليات الآشورية والبابلية، حيث تذكر حوليات الملك تيجلات بليسر الثالث(٧٤٥- ٧٢٧ ق.م.)أنه أخذ الجزية من تيماء وغيرها من الواحات العربية، كما استهوت تيماء الملك البابلبي نابو نهيد واتخذها مستقراً له.(٢٨)

وقد لعبت تيماء دوراً كبيراً في تاريخ شمال الجزيرة العربية الاقتصادي والسياسي لوقوعها على الطريق التجاري بين الشمال والجنوب (٢٩)، فقد اجتمعت في تيماء مسببات الحضارة، حيث تميزت بالموقع الجغرافي وباعتدال المناخ وخصوبة التربة، إضافة إلى توفر المياه عن طريق بحيرة تيماء التي ذكرها الكتاب العرب(٣٠)

وقد أثبتت الحفائر بعض الحقائق التي تؤيد الاستقرار والاستيطان السكاني بتيماء ضمن منطقة شمال غرب الجزيرة العربية ، واستبعاد أي عوامل استيطان قديم خلال بداية الألف الثاني ق.م. في تيماء، وأن الأمم في تلك الفترة في تلك المنطقة لم يصلوا إلى مستوى الاستقرار المنتج وفقاً للنصوص الآشورية والبابلية القديمة.(٣١).

٢٦عن العلاقات بين مصر القديمة و الجزيرة العربية القديمة أنظر: فوزية عبد الله محمد ، الصلات الحضارية بين مصر القديمة وشبه الجزيرة العربية منذ أقدم العصور وحتى عصر الدولة الحديثة ، مجلة العصور ، المجلد الثاني والعشرون ، الجزء الثاني ، ٢٠١٢ ، ص ٧-٢٦

27Saleh,Abdel-Aziz, Some Problems Relating to the Pwenet Reliefs at Dier el Bahari , JEA 58, 1972, pp.140-158

; Dixon,D.M. The Transplantation of Punt Incense Trees in Egypt , JEA 55,1969,pp.55-65 ;Saleh,Abdel-Aziz ," The Gnbtyw " of Tutmosis III ´s Annals Writers, BIFAO,vol.LXXXiii, 1972,pp.245-262.

٢٨عبد الرحمن طيب الأنصاري، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية ، ص٨٢

٢٩حامد إبراهيم أبو درك ، مقدمة عن آثار تيماء ، دراسة نقد ومقارنة لبعض المعالم الأثرية في تيماء بشمال غرب الجزيرة العربية من خلال نتائج الاستكشافات الأثرية ، الرياض ، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م ، ص٣

٣٠محمد بن حمد نجم ، أنظمة الري ومصادر المياه القديمة في محافظة تيماء ، أطلال ، (حولية الآثار العربية السعودية) ، العدد الخامس عشر ، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م ، ص ٢٠١-٢٠٥

٣١حامد إبراهيم أبو درك ، حفرية المنطقة الصناعية بتيماء ، أطلال ، (حولية الآثار العربية السعودية) ، العدد الرابع عشر ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ص١١

ويعمل حاليا فريق علمي سعودي ألماني بموقع تيماء محاولا الكشف عن تفاصيل العلاقة التي كانت تربط تيماء بالشام ومصر القديمة وبلاد النهرين، والوجود الاستيطاني المبكر في المنطقة .[٣٢] .

٧- كما أن منطقة **دومة الجندل** تعد أحد أهم مراكز تجارة القوافل، وقد عرفت في التوراة باسم "دومة" ، أما الجندل فهو الصخر، وعرفها الآشوريون والبابليون باسم "أدوماتو"، وشنوا عليها حملات يعود أقدم ما سجل منها إلى القرن الثامن ق.م.، كما أخذوا عدداً من ملكاتها أسيرات إلى بابل (سيلي ذكر ذلك لاحقاً)، وكانت أهم القبائل التي تسكن هذه المنطقة من دومة حتى تيماء قبيلتي " قيدار " و "أدوم "، ولعل اسم دومة اشتق من اسم هذه القبيلة التي جاء ذكرها في التوراة ، باعتبارها إحدى القبائل المهمة في المنطقة، وتذكر الكتابات الآشورية أنه في ٦٨٨ ق.م.أرضخ الملك الآشوري سنخريب منطقة أدوماتو، وحمل ملكته (تلخوخو)أسيرة معه إلى نينوى، والتي بعد فك أسرها لم تنس ما حدث لها من ذل فتحالفت مع الثوار البابليين ضد آشور، كما تحالفت مع رئيس قبيلة قيدار وكانت قاعدتها تدمر، وكان يسمى حزائيل، ولكنها لم توفق.(٣٣)، وكان موقع دومة الجندل في الربع الخالي من أهم أسواق الجزيرة العربية، حيث عثر فيه على عدد من النقوش المتباينة في لهجاتها بين معينية، وثمودية ، ولحيانية ، ونبطية ، وهي ظاهرة تدل على وجود قوافل تجارية لأقوام متعددة كانت تمر بهذه المنطقة فكان لابد من تأمين هذه الأسواق التي تقع على طريق التجارة أيضا (٣٤)

٨- أما **الأطراف الشرقية أو الشمالية الشرقية** من الجزيرة العربية فقد اتصلت أيضا بآشور وبابل، فقد تعاقبت نصوص مسمارية أخرى بابلية وآشورية بعد عهد سرجون الأول، مما يدل على امتداد النفوذ العراقي على هذه الأجزاء الشرقية، ولكن يبدو أنه كان نفوذا تجاريا فقط، قام على أساس استيراد المواد الأولية وبعض منتجات بخور منطقة ظفار، وما يتجمع من منتجات الهند وجزر المحيط الهندي على سواحل الخليج العربي، وذلك لتصريفه في أسواق بلاد النهرين، وزادت النصوص الآشورية فأشارت في القرن الثامن ق.م. إلى أريبي (عربي)"مطلع الشمس"، وعنت بهم أعراب الشروق غرب الخليج العربي، وعرفت هذه الأطراف الشرقية من شبه

٣٢عن نتائج الحفائر الأخيرة أنظر: سعيد بن فايز ، ايشمان ن ريكاردو وآخرون ، تيماء خريف ٢٠٠٤ ، ربيع ٢٠٠٥ ، التقرير الثاني عن المشروع الآثاري السعودي الألماني المشترك ، أطلال، (حولية الآثار العربية السعودية) ، العدد العشرون ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، ص ٧٣-١٠٣

- عن البعثات الكشفية في المملكة العربية السعودية:

Leatherdale ,J.&Kennedy,R. Mapping Arabia, The Geographical Journal ,vol.141 ,No.2, 1975 ,pp. 240-251

٣٣ عبد الرحمن طيب الأنصاري ، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية ، ص٨٢-٨٤

34Hoyland ,R.G. Arabia and Arabs from the Bronze Age to the coming of Islam ,London , 2001, p.109ff

الجزيرة في النصوص المسمارية بأسماء (دلمون) و(ماجان) وملوخا .ولأمر ما اعتبرت الأساطير السومرية دلمون جنة استقر بها السومريين الأوائل زمنا قبل أن يدخلوا أرض العراق يما يعن وذهب الترجيح إلى أنها (أي دلمون) تمثلت في جزيرة البحرين، ثم تواتر ذكرها تاريخيا وشمل اسمها فيما يعتقد بعض الباحثين المحدثين أنها جزءاً من ساحل الإحساء المواجه لها .([٣٥]) واتجه بعض الرأي إلى أن (ماجان) تشغل ما تشغله عمان الحالية، أما (ملوخا) فقد ذكرت النصوص المسمارية أنه كان يستورد منها الذهب والخشب الثمين ولهذا سارت سفنهم طاعة لدولة أكد، وعلى ذلك فإن أهل هذه الأقطار الثلاثة عملوا بالنقل البحري والتجارة البحرية .([٣٦]) ولعل الصلات الحضارية قد امتدت منذ الألف الثالث ق.م. بين جنوب بلاد النهرين، و المراكز الواقعة على الخليج العربي سابقة الذكر، وبين المراكز الحضارية في الجزيرة العربية ، وامتدت هذه الصلات في العصر البرونزي في شكل التبادل التجاري الواسع بينها ، وتشمل المنتجات التي تم تبادلها المصنوعات المعدنية ، والنسيج والأحجار والزيوت ، وأدوات الزينة ، ومن أهم المنتجات التي كانت تستوردها بلاد النهرين من المناطق الشرقية للجزيرة العربية والخليج العربي معدن النحاس الأكثر أهمية، وذلك على مر العصور منذ بداية الألف الثالث ق.م.[٣٧]

وجدير بالذكر، أن الطرق التجارية البحرية في شبه الجزيرة العربية، لعبت دوراً كبيرا عبر الموانئ التي تقع على سواحل كل من الخليج العربي، والبحر الأحمر، وبحر العرب، وبخاصة بعد المنافسة بين الإغريق والرومان في ميدان التجارة البحرية، حيث اتصلوا بتلك المدن الواقعة على هذه الموانئ، وذلك عبر عدة طرق تمتد من خليج العقبة في شمال البحر الأحمر، مرورا بساحل بحر العرب، نذكر منها:طريق ساحل الخليج العربي، وطريق ساحل البحر الأحمر. (وهي فترة زمنية غير ذات صلة بموضوع البحث) [٣٨]ومما سبق يتبين أن منطقة شمال شبه الجزيرة العربية وشمالها الغربي قد تميزت بثرائها الثقافي والحضاري في كثرة المعالم

٣٥عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ص ١٤٥-١٤٦

Potts ,D. T. The Arabian Gulf in Antiquity , Vol.1, From Prehistory to the fall of Achaemenid Empire , Oxford , 1990 ,p.15 ,Méry ,S. , Phillips ,C. &Calvet , Y. Dilmun Pottery in Mesopotamia and Magan From the End of the 3rd and beginning of the 2nd Millennium B.C. , in: Arabia and its Neighbours , Abiel II , New Research on Arabian Peninsula , prepols ,1998 , p.165-180

36Crawfort , H . Mesopotamian And the Gulf ; The History of a Relationship , Iraq 67, No.2, pp.41-46

37Edens , C . Dynamic of Trade in the Ancient Mesopotamia " World System " ,in: American Anthropologist , New Series , vol.94, No. 1 ,1992,p.120 ,122,126.

38Shaheen , A.M. , Arabian Gulf on the Fringe of the Traditional "Silk Road " Interrelation with Mesopotamia and Indus Vally , 1993 , p.3-9

مستلة من مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب ، (جامعة المنيا ، ٢٠٠٣)

Rice ,M. The Archaeology of the Arabian Gulf , c 5000-323B.C. , 1994 , p. 282

التاريخية ، ومسارات طرق التجارة القديمة ، ويتضح ذلك من خلال الكتابات والنقوش العربية الشمالية القديمة التي سجلتها القوافل التجارية وأربابها على دروب الطرق التجارية المؤدية إليها ، وخاصة التي كتبت بالخط الثمودي[٣٩]

رابعاً : الأدلة النصية والتصويرية للصلات الحضارية بين بلاد النهرين وشمال شبه الجزيرة العربية في العصر الآشوري الحديث:

١- نبذة عن العصر الآشوري الحديث: شهدت بلاد النهرين في العصور التاريخية القديمة حضارات عريقة، أهمها الحضارات السومرية والبابلية والآشورية، ومنذ الألف الثالث ق. م. ظهر الآشوريون في شمال شرق بلاد النهرين في مدينة آشور، وبعد أن حصلت دولة آشور على استقلالها في حوالي النصف الأول من القرن التاسع ق.م. ، بدأ عصر الإمبراطورية الآشورية ويشمل الفترة من عام ٩١١- ٦١٢ ق.م.وفيما يلي **قائمة بأهم ملوك العصر الآشوري الحديث**[٤٠]**:**

اسم الملك	فترة حكمه
أداد نيرارى الثانى	(٩١١- ٨٩١ ق.م.)
توكولتى نينورتا الثانى	(٨٩٠- ٨٨٤ ق.م.)
أشور ناصربال الثانى	(٨٨٣- ٨٥٩ ق.م.)
شلمانصر الثالث	(٨٥٩- ٨٢٤ ق.م.)
شمش أداد الخامس	(٨٢٣- ٨١١ ق.م.)
أداد نيرارى الثالث	(٨١١- ٧٨١ ق.م.)
شلمانصر الرابع	(٧٨١- ٧٧٢ ق.م.)
أشوردان الثالث	(٧٧٢- ٧٥٤ ق.م.)
أشور نيرارى الخامس	(٧٥٤- ٧٤٥ ق.م.)
تيجلات بليسر الثالث	(٧٤٥- ٧٢٧ ق.م.)
شلمانصر الخامس	(٧٢٦- ٧٢٢ ق.م.)
سرجون الثانى	(٧٢٢- ٧٠٥ ق.م.)
سيناخريب	(٧٠٥- ٦٨١ ق.م.)
أسارحدون	(٦٨١- ٦٦٩ ق.م.)
أشوربانيبال	(٦٦٩- ٦٢٧ ق.م.)

كان عهد الملك **"أشور ناصربال الثاني"**(٨٨٣- ٨٥٩ ق.م.) بداية المرحلة الأولى من التوسع الآشوري، وكان من أعظم الملوك الآشوريين إلا أنه عرف بقسوته مع

٣٩خالد بن محمد عباس أسكوبي ، "النقوش الثمودية بين الحجر وعقيلة أم خناصر "دراسة تحليلية مقارنة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م ، ص٨

40Hrouda ,B. L'orientAncien ,Histiore et Civilizations , ÉditionFrançaise sous la direction de Jean Bottero, Bordas, 1991,p. 126 ff, 140 ff.

الأعداء، ووصلت فتوحاته إلى جبال زاجروس الشمالية والشرقية ، كما أنه نقل العاصمة إلى نمرود (كالح).[٤١]

ثم بدأت المرحلة الثانية من التوسع بعد مرور قرن من الزمان عندما تولى الحكم **تيجلات بليسر الثالث**(٧٤٥- ٧٢٧ ق.م.) ، الذي سعى لدرء الأخطار المحدقة عن دولته، واتسعت الإمبراطورية الآشورية في عهده ، وبنى لنفسه قصر جديد في نمرود.

ولقد قضى **سرجون الثانى**(٧٢٢- ٧٠٥ ق.م.) على الاضطرابات الداخلية التى اندلعت في بداية عهده ، ثم أصبحت آشور أقوى مما كانت عليه ، كما أنه نقل العاصمة إلى خورسباد " دورشاروكين " [٤٢].

ثم تولى ابنه **سيناخريب** الحكم (٧٠٥- ٦٨١ ق.م.) ، وفي بداية حكمه نقل العاصمة إلى مدينة "نينوى "، حيث تعكس بقايا نقوش قصره في نينوى الحملات التي توجه إليها [٤٣]، وكان اسمه مرهوباً بين أعدائه ، وتقدمت حملاته نحو المدن الساحلية الفينيقية حتى بلغت الحدود المصرية، ولكن تلك الأخيرة لم تكتمل.

ولم يأت مطلع القرن السابع ق.م. حتى ترامت أطراف الإمبراطورية الآشورية، وحققت أهدافها العسكرية والاقتصادية، من حيث الاحتفاظ بجيش قوي، والسيطرة على الطرق التجارية بين الشرق والغرب، وإمداد دولة آشور بكل البضائع اللازمة لها، ولدينا في هذه القرون الثلاثة سلسلة من القصور البديعة في كل هذه العواصم، والتى تحوي دلالات مهمة حول العلاقات الآشورية بالأمم التي عاصرتها [٤٤]

٢- لفظ العرب ومدلوله في مصادر الشرق الأدنى القديم:

انصرفت تسمية عرب التي تداولتها نصوص الشرق الأدنى القديم على العرب الشماليين أكثر منها العرب الجنوبيين، كما انصرفت للدلالة على أعراب البادية أكثر منها على أهل الحواضر في شمال الجزيرة وبادية الشام المتصلة بها، وهذا المعنى

41Reade ,J.Ideology and Propaganda in Assyrian Art ,in; Faculty.Uml.edu/Ethan-spanier/Reade-Assyrian . Art.Pdf.

Oates ,D.& J . Nimrud , An Assyrian Imperial City Revealed , London , 2001 , p.27ff

حلمي محروس إسماعيل ، الشرق العربي القديم وحضارته ، بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص ٥

42Korsabad , Le Palais de Sargon II , roi d' Assyrie , actes du ColloqueOrganisé au Musée du Louvre ,1995 , p. 49-51

43Russell , J .M. The Final Sack of Nineveh m New Haven , 1998 , p.43-45; Van de Mieroop , M . ATale of Two Cities : Nineveh and Babylon , in : Iraq.66 , 2004 , pp.1-5 ; Dalley ,S. : Nineveh , Babylon and hanging Gardens , Cuneiorm and Classical Sources Reconciled , in: Iraq 56 , pp,45-58

44Reade ,J. E. Ideology and Propaganda in Assyrian Art ,in;Faculty.Uml.edu/Ethan-spanier/ Reade -Assyrian . Art.Pdf.

جيمس هنري برستد ، انتصار الحضارة ، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة أحمد فخري ، القاهرة ٢٠١١، ص ٢١٥، ٢١٩،٢٢٠

الواسع ورد في النصوص المسمارية في العصر الآشوري الحديث خلال القرن التاسع ق.م.، ولا يعني هذا بداية ظهور العرب معه في هذا القرن، فهناك قرائن عديدة على قدم وجود العرب بخصائصهم وخصائص لغتهم منذ عهود سبقته بآماد طويلة .(٤٥)

٣- الصلات الحضارية بين العرب في شمال الجزيرة العربية وبلاد النهرين في العصر الآشوري الحديث :

كانت العلاقات بين بلاد النهرين والجزيرة العربية تعتمد على الصلات التجارية والمصالح المشتركة ، وكانت رغبة بلاد النهرين هي الحصول على ما تحتاجه من صادرات الجزيرة العربية خاصة البخور المستخدم في المعابد والاحتفالات الدينية السنوية واليومية، وكذلك الحصول على الضرائب منهم، أما الجزيرة العربية فكانت تحتاج إلى الحماية التجارية عبر الطريق التجاري المعروف وقتذاك. (٤٦)

وكان الطريق التجاري البري بين اليمن والشام ومصر يمر بغربي تيماء، وهذا الطريق كان يخضع أحيانا لسيطرة المعينيين ، وفي أحيان أخرى يكون تحت سيطرة السبأيين الذين يعاصرونها، فقد أدى توسع المعينيين في الشمال إلى احتكاكهم بدولة آشور وفينيقيا ومصر، وكان الآشوريون يتعاملون مع حكام الواحات الشمالية من المعينيين على أساس أنهم " الملوك الجنوبيين " (٤٧)

ويبدو أن المنطقة البدوية التي كانت تقع على التخوم الجنوبية لمنطقة الهلال الخصيب بدأت تسترعي اهتمام الملوك الآشوريين، الذين وجدوا في هذه المنطقة ما يستدعي الحرص عليها، أو على الأقل على عمل فرض الأمن في أرجائها منعاً لسكانها من أي تحرك سياسي أو عسكري .(٤٨)

فقد هاجم الآشوريون القبائل العربية في أطراف الهلال الخصيب وشمال الجزيرة العربية منذ أواسط القرن التاسع ق.م. على أقل تقدير ، وكانت تلك القبائل تجول بين البحر الأحمر والخليج العربي ، وقد استقروا في هذه المنطقة للسيطرة على طرق التجارة المهمة بين أطراف الجزيرة العربية والقادمة من الجنوب، وقد مثلت هذه القبائل في النقوش الجدارية بالقصور الآشورية مما يكشف عن أهميتها السياسية المتنامية منذ تلك الفترة. (٤٩) ويمكن أن نقسم تلك المناظر إلى : مناظر للقوافل التجارية العربية ، ومناظر المعارك الحربية ، ومناظر الاستسلام وتقديم

٤٥عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ص ١٣٨-١٣٩

٤٦كمال الصالحي ، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها ، الرياض ، ٢٠٠٣، ص ٢٨٠

47Bryne ,R. Early Assyrian contacts with Arabs and Impact on Levantine Vassal Tribute , ASOR , No.331 , 2003,p.11-12

٤٨لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، الإسكندرية ،١٤٢٦، ص٤١٠

49Reade , J.E .Assyrian Illustrations of Arabs ,in; Arabia and its Neighbors , Essays on pre-historical

and historical developments , in; Abiel II ,New Research on the Arabian Peninsula , Prepols ,1998 , p.221

الجزية.[٥٠]وقد لفت بعض علماء الآثار النظر إلى إستراتيجية الآشوريين ضد أعدائهم، طبقاً لوعورة الإقليم ، والاختلاف الجغرافي، فعند قراءة النقوش الآشورية، ودراسة المناظر المنقوشة، وبخاصة المناظر الحربية ،يمكن للمرء أن يدعي أن الجيش الآشوري عادة ما واجه الأعداء في عملية حصار، محاولاً أن يتجنب مواجهة مباشرة في معركة ميدانية مفتوحة، إلا في حالات قليلة ضمن المناظر الملكية والمصورة على جدان قصور الملوك الآشوريين، منها على سبيل المثال مناظر من عهد شلمانصر الثالث مع سوريا، وكذلك من عهد سنخريب ضد الملك البابلي وحليفه العيلامي ، ولنا أن نتساءل لماذا استحب الفنانون الآشوريون تمثيل مناظر الحصار في المعارك ، هل لأن تمثيلها أسهل من تمثيل المعارك الميدانية المفتوحة، أو ربما لأن إستراتيجية الجيش الآشوري في عمليات الحصار تكون فعالة وناجحة طبقاً لما زعمه الآشوريين [٥١].

وفيما يلي نتتبع الصلات الحضارية مع شمال شبه الجزيرة العربية ونسوق أدلتها في عهود أهم ملوك العصر الآشوري الحديث :

١- في عهد شلمانصر الثالث(٨٥٩- ٨٢٤ ق.م.):

امتد التوسع الآشوري في عهد شلمانصر الثالث في القرن التاسع ق.م. إلى بوادي الشام وضغط على ما في جنوبها من مناطق التجمع العربية ، وحاولت دويلات المنطقة أن تقف في وجه الآشوريين بتكوين حلف كبير ضم إمارة دمشق وما حولها، وهنا ذكرت نصوص شلمانصر الثالث ٨٥٣ق.م. أنه انضم إلى هذا الحلف ألف راكب من جماعات "جنديبو الآريبي"، ويعتبر لفظ "جنديبو" تحريفا لاسم جندب أو جندبة ، كما يعتبر لفظ آريبي تحريفا للفظة (العربي)، ويذكر النص أن الآشوريين قد هزموا ذلك الحلف في موقعة (قرقر)[٥٢]

ويبدو أن "جنديبو" أو "جندبو" كان يعيش بقبيلته العربية ، أو يتردد على البادية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من دمشق ، وإذا صح أنه اشترك في الحرب ضد الآشوريين بألف راكب فعلاً ، لدل ذلك على سعة نفوذه وكثرة رجاله قياساً على إمكانيات عصره . [٥٣]

ولم يشر النص الأشوري إلى موقع إمارة المدعو (جندب) ، وإن كان يعتقد أنها تقع في وادي سرحان جنوب دمشق . [٥٤]، إلا أن حوليات الملك شلمانصر روت الكثير

٥٠كمال الصالحي ، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها ، ص ٢٧٥-٢٧٦

51Nadali , D. Assyrian Open Field Battles , an attempt at reconstruction and analysis in : Studies an War in the Ancient Near East , Alter Orient Und AltesTastament , Band 273 , 2010 ,p.117,118,120

52Ephʿal , I . The Ancient Arabs : Nomads on the Borders of the Fertile Crescent , 9th-5th Century B.C., Jerusalem ,1984 ,pp.115-117

٥٣عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ص ١٣٨-١٣٩

٥٤كمال الصالحي ، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها ، ص ٢٧٣

عن هذه الموقعة، وعن خط سير الملك بدءاً من نينوى نحو الفرات ومنها إلى الشام، ووصول الملك إلى حلب وحمص ثم قرقر ، كما ورد أسماء الملوك الذين تحالفوا ضد آشور وبلغ عددهم أكثر من ثلاثة عشر ملكا ، ثم أسماء المناطق التي ضمها شلمانصر إلى مملكة آشور(٥٥)

ولعل الأدلة الطبوغرافية لوجود العرب في بلاد النهرين كانت نادرة قبل أواخر القرن الثامن ق.م.، وربما نعزو هذا الغياب دليلا على أن العرب قد هزموا في موقعة قرقر غرب سوريا في عهد شلمانصر الثالث .(٥٦)

ثم تعددت إشارات النصوص الآشورية بعد ذلك إلى الجماعات العربية القريبة من دولتها،والواقعة على طرق التجارة الواصلة إليها ، كما وردت أخبار انتصار ملوكها وجيوشهم الآشوريين على هذه الجماعات ، وتلقي الجزية منهم ، وهي أخبار تحتمل الصدق كما تحتمل الشك ، فيحتمل صدق بعضها على أساس عدم تعادل كفتي الفريق من حيث العدد والعدة ومن حيث وفرة الموارد ، ولكن يتعين الشك في بعضها الآخر لأنها وردت من جانب واحد هو الجانب الآشوري ، دون ذكر هزيمة واحدة، فلو كان خصومهم من العرب قد سجلوا أخبارهم لأمكن مقارنة أخبار الجانبين ببعضها والخروج منها بما هو أقرب للصحة.(٥٧)

حيث ورد لقب للملك شلمانصر الثالث في حوليات العام الخامس " الذي تسلم الجزية من العالم أجمع"، وهو لقب حصل عليه أبيه من قبل، كما وردت مناظر ونقوش تؤيد ذلك في البوابة البرونزية للبلاوات في العام الرابع من حكمه، وضمن نقوش المسلة السوداء في حوليات العام الثالث عشر للملك، واشتملت هذه الجزية على بضائع نفيسة من المعادن، والمنسوجات القيمة، والعاج، والأنواع الفاخرة من الأخشاب وغيرها..(٥٨)

كما نرى تمثيل الجمل في النقوش الآشورية التي تبين حملة شلمانصر على شمال سوريا على بوابة قصره في البلاوات، وربما كانت هذه هي المرة الأولى التي يشاهد

55Yamda , S .The Construction of Assyrian Empire , A Historical Study of the Inscriptions of Shalmanesar III , relating of his Campaigns in the west , Boston , 2000, p.143-145

56Bryne , R. Early Assyrian Contacts With Arabs and the Impact on the Levantine Vassal Tribute , ASOR 331 , 2003 , p. 12

٥٧عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ١٤٠-١٤١

58Yamda , S .The Construction of Assyrian Empire , A Historical Study of the Inscriptions of Shalmanesar III , relating of his Campaigns in the west , Boston , 2000, p.236-239, p.241-245.

وعن المصطلحات في النصوص الآشورية ذات الصلة بالتجارة والجزية انظر :

Veenhof , K.R. Aspects Of Old Assyrian Trade and its Terminology , in: Studia et Documenta , Vol.X, Leiden m 1972, 343-345

فيها هذا الحيوان في النقوش الآشورية، ويبدوا أن الجمل استخدم في موقعة قرقر للنقل، كما مثل فيما بعد في حالات تكاد تكون نادرة للتقهقر السريع[٥٩].

٢- تيجلات بليسر الثالث(٧٤٥- ٧٢٧ ق.م.):

ومن أهم ما يرتبط بعهد هذا الملك ، من حيث صلاته بالعرب ، هو صدام جيوشه مع قبائل عربية كثيرة انتشرت على طريق التجارة القديم في شمال الجزيرة العربية، في المنطقة الممتدة بين البحر الأحمر وبلاد النهرين [٦٠]، ومن المحتمل أنه بعد أن قام الملك تيجلات بليسر الثالث بحملته الثانية غرباً نحو دمشق، بدأ العرب بالدخول في العالم الآشوري حيث نجد حوليات الملك ونقوشه تدلل على ذلك[٦١].

ففي القرن الثامن ق.م. وتحديداً عام ٨٤١ ق.م. قام الملك تيجلات بليسر بحملة على الشام وكان ملك دمشق "حزائيل" هو الذي تزعم حلفا يواجه الآشوريين، وذكرت النقوش الآشورية في نمرود أسماء المدن التي تغلب عليها الآشوريون، والجزية التي استطاعوا الحصول عليها منهم، وعدداً من أسماء الملوك المهزومين ومنها أسماء لزعماء عرب منها الملكة (شمشي) ربما تحريفا لاسم (شمس)[٦٢].

وقد تم تمثيل العرب في فنون العصر الآشوري ولعل أكثرها تبكيراً ما صور ضمن النقوش الجدارية من عصر الملك تيجلات بليسر الثالث ، وتبين إحدى هذه النقوش عجلة حربية وفرساناً تطارد الأعداء (من العرب) وبعضهم يمتطي جملا ، وقد مثل هؤلاء الرجال بشعور منسدلة مجعدة ، ولحى مدببة ، ومئازر قصيرة محلاة بشراريب، ويمسك أحدهم بمقود جمل ، وقد وضع عصابة فوق رأسه .

بينما تظهر هيئة آدمية أخرى - ربما لامرأة – ترتدي رداءً طويلاً ذي شراريب،وله ثنايا طويلة، وتجلس على ظهر جمل متوجهة نحو جماعة أخرى من قومها أمامها، والصفوف الأخرى من النقش تبين مجموعة من السجناء رجال ونساء ومعهم بعيرهم وماشيتهم وإبلهم ضمن الغنائم المقدمة، وهم يسيرون في موكب في حضور الملك.[٦٣]

ومن هؤلاء يظهر زوجان من الأسرى الرجال لهم لحى مدببة(شكل ١)، يرتدي كل منهم مئزر قصير، ويقودهم رجل أشوري يرتدي رداء طويل ، ويشير بيده ربما ليتقدم الأسرى للأمام .

---

[59]Retso, J . The Arabs in Antiquity : Their History from the Assyrians to the Umayyads ,London,2003, p.127; Nadali , D. Assyrian Open Field Battles , an attempt at reconstruction and analysis in : Studies an War in the Ancient Near East ,p.121,122

٦٠عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، القاهرة، ٢٠٠٤ ، ص ٨٠٨

[61]Bryne , R .ASOR 331 , 2003 , p. 18

[62]Retso, J . Op .Cit., p.129

[63] Barnett ,R.D. & Faulkner , M. The Sculpture of Tiglath – Pilleser III , London, 1962 , pls. XII-XIII

وصورت ضمن تلك النقوش امرأة بثوب كاسي تسير باكية، تمسك جرة كبيرة، وتستر وجهها بكفها الأخر ربما خجلا، أو ربما تلطمه، ويتبعها عدد من نياقها، وليس من المستبعد أنهم أرادوا أن يرمزوا لها بإحدى ملكات العرب التى تدعى (شمس)، والتى ورد اسمها في حوليات الملك ضمن العرب الذين هزموا ، ولقبت أنها (ملكة العرب)، ويشير المنظر إلى عجزها واستسلامها (شكل ٢).[٦٤]

وقد ذكرت الملكة سمسي أو شمشي (تحريفاً عن شمس) في النصوص الآشورية في مناسبتين، الأولى مناسبة أدت الجزية فيها إلى الملك الآشوري كسابقاتها، ومناسبة أخرى خلعت فيها هذه الملكة ثوب الطاعة، وساعدت البدو الآراميين أعداء الآشوريين، فأجبرتها الأخيرة على الطاعة، وضيقوا على كثير من أعوانها حتى اضطروا إلى الإذعان وتأدية الجزية، ثم عين الملك الآشوري مندوباً له في عاصمتها لقب بلقب" قيبو "أي قيم، كي يشرف على سياستها ويكتب له في أمرها[٦٥]

ولم يكتف الآشوريين أن يسجلوا نصرهم كتابة فقط على قوم شمس، إنما أسرفوا في تصويره بما أشبع كبريائهم ، فبقي منه ما يصور فارسين آشوريين على جوادين يلاحقان بحرابهما محارباً عربياً يجري مسرعاً ببعيره، ويلتفت إليهما في ضراعة بعد أن أصيب بعيره بسهم في جنبه كاد يرديه، كما صوروا عددا من قتلى جيش الملكة، وقتلى حلفائها ممددين على الثرى (شكل ٤) .[٦٦]

وهناك جزء من نقش يبين معركة الجيش الآشوري ضد العرب والملكة شمس (شكل ٣)، حيث يمثل المنظر زوج من الفرسان، والملك نفسه فوق عجلة حربية، ليسحق أعدائه بالعجلة الحربية، بينما يهرب بعض البدو راكباً ناقته، كما يوجد جزء من نقش آخر يبين عجلة حربية، وتعتبر تلك المناظر من أفضل أمثلة المعارك الميدانية المفتوحة في العصر الآشوري الحديث، فلا توجد مستوطنات محصنة في الصحراء، ويستطيع الجيش الآشوري جذب العرب في معارك ضارية، ويصل إلى مخيماتهم وخيامهم ليحطمها، كما هو مسجل بوضوح في تلك المناظر، وفي حوليات الملك نفسه [٦٧].

---

[64]Reade , J.E .Assyrian Illustrations of Arabs ,in; Arabia and its Neighbors , Essays on pre-historical
and historical developments , in; Abiel II ,New Research on the Arabian Peninsula , Prepols ,1998 , p.222,223,fig.1,2
; Hoyland ,R.G. Arabia And the Arabs , from the Bronze Age to the Coming of Islam, London,2001 , p. 56-60,pl.9.
;Tadmor , H. The Inscriptions of Tiglath – Pilliser III , King of Assyria , Jerusalem , 1999, p.140-143

٦٥عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ١٤٠-١٤١

٦٦عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ١٤٠-١٤١

[67]Nadali , D. Assyrian Open Field Battles , an attempt at reconstruction and analysis in : Studies War in the Ancient Near East, p.126,fig 6,7,p.127

وقد عثر على عدد من الخطابات في نمرود (كالح) من عهد الملك تيجلات بليسر الثالث، منها خطاب أرسله حاكم نمرود المدعو(شورو- دوري)، ويبدو أن الخطاب ذو صلة بحملة الملك على الملكة شمس، وهناك خطاب آخر من الملك نفسه إلي أحد كبار الموظفين في عهده المدعو (اينورتا- بيلو- آشور) ، ويبين الخطاب نجاح الملك في هزيمة العرب، كما أن هناك مراسلات عديدة بين الملك وهذا الموظف بشأن الغنائم التي تم الحصول عليها من المناطق التي تغلب عليها الملك.(٦٨)

وهناك منظر يتضمن عدداً من الأسرى من مناطق متنوعة من الشرق الأدنى فيعتقد البعض أنهم من البدو السوريين، ويعتقد البعض الآخر أنهم من العرب والسؤال لا يزال مطروحا حول ماهيتهم .(٦٩)

ويشير احد هذه النقوش إلى قسوة الآشوريين في معاملة الأسرى العرب من الرجال والنساء(شكل ٥)، حيث مثل الجنود الآشوريون يجرون الأسرى من ثيابهم، وعلى يسار النقش منظر غير مسبوق لجندي يجر امرأة - ترتدي رداءً عربياً- من ثيابها، وتسير وراءها امرأة تمسك طفلا، مما يدل على أن استخدام الجنود الآشوريين للعنف لم يقتصر على الرجال فقط، وربما أن هذه السيدة هي احدي الأميرات أو الملكات العربية التي ذكرت في نصوص هذه الفترة كالملكة زبيبي (تحريفا عن زبيبة) والملكة شمس، ويلاحظ أن الفنان برع في التمييز بين ملابس الآشوريين وأعدائهم في تلك النقوش.(٧٠)

وقد وردت إشارة في حوليات الملك عثر عليها في كالح وتعود للعام الثالث من حكمه ، عن جزية دفعتها زبيبي (زبيبة) ملكة بلاد العرب ، ولم يتحدث النص عن مكان تلك المملكة ، وقد أطلق على قومها (أريبي)أي العرب ، ويرى Musil أن مقر حكم هذه الملكة ربما كان دومة الجندل . (٧١)

وعلى الرغم من هذه المناظر والنقوش تحوي دلالات النشاط العسكري الآشوري في هذه الفترة، إلا أنها لا تخلو من مبالغات عديدة، منها على سبيل المثال ما ذكره الملك تيجلات بليسر الثالث من قيامه باجتياح ١٥ مدينة للملك العربي (إيد- يبعلي)، وما ذكره من الاستيلاء على٣٠ألفاً من الإبل للملكة شمس ملكة العرب .

ففي الرواية الأولى ، لعله يشير إلى نجاحه في اجتياح ١٥ تجمعا سكنيا وليس ١٥ مدينة ، وفي الرواية الثانية لو سلمنا بأنه قام بالاستيلاء على هذا العدد من الإبل ،

---

[68]Parpola , S .&Luukko , M. & Reade , J.E. State Archives of Assyria , vol.XIX, The Correspondence of Tiglaeh-Pilleser III, and Sargon II, from Calah/Nimrud ,Publication of the Foundation for Finnish Assyriological Research ,No.6, 2012, p.35,Letter3,12,pl.XLV,in; (Luukko-saa19-intro.pdf)

[69]Wälfer , M. Nicht-Assyrer Neuassyrischer Darstellüngen Neukirchen-Viuyn : Alter Orient Und Altes Testament , Band.26,1957 ,p1ff

[70]Reade , J.E .Assyrian Illustrations of Arabs ,in; Arabia and its Neighbors , p.223 ,fig.3

٧١كمال الصالحي ، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها ، ص ٢٧٣

فيبقى ٣٠ ألفاً عدداً مبالغا فيه للغاية، لاسيما إذا علمنا أن الملكة شمس كانت تحكم منطقة محدودة وليس كل بلاد العرب .([٧٢])

٣-سرجون الثاني(٧٢٢- ٧٠٥ ق.م.):

تجاهلت حوليات الملك سرجون الثاني في خورسباد العرب ، وذلك حتى نهاية القرن الثامن ق.م. ، إلا أنها ذكرت حدوث اضطرابات كثيرة في بعض المناطق في العام السابع من حكمه، وأن الملك قام بتهجير سكانها منها ، وقام بنقل قوم آخرين وأسكنهم تلك المناطق، وكان من بينهم مجموعات من العرب من سكان أعالي الحجاز وجنوب شرق العقبة .([٧٣]) كما زعمت حولياته أن الجزية التي تقبلها من العرب كانت تقدم لأول مرة ، وأنهم " لم يحضروا جزيتهم من قبل أبداً"، وأنه تقبل جزية من العاج والنباتات العطرية من الملكة السبأية (إيتامار)، كما تقبل الجزية أيضا من الملكة شمس، وربما هي الملكة التي ورد ذكرها من قبل في نصوص الملك تيجلات بليسر الثالث. ([٧٤])

ومن الصعب تعريف الأسماء العربية في النصوص الآشورية في القرن الثامن ق.م.، حيث يعتقد Zadok أنه لم يعثر على أسماء عربية في فترة حكم الملك سرجون الثاني في العراق العليا فيما عدا منطقة حران .([٧٥])

وهناك خطاب من أحد كبار الموظفين من عهد الملك سرجون الثاني ، والمدعو(تاب – سيل – إيشار)، يزعم فيه الملك سرجون كيف أن العرب قاموا بتقديم الجزية له لأول مرة من مناطق مختلفة ([٧٦])، ويعتقد Horowitz أنه بالرغم من أن الملك الآشوري سرجون أكد سيطرته على تيماء، كما أنه ادعى أنه سيطر على معظم الممالك المحيطة بها . ([٧٧])

٤- سناخريب (٧٠٥- ٦٨١ ق.م.):

ليس من المؤكد تحديد هوية بعض السجناء –في نقش يؤرخ بأوائل القرن السابع ق.م. – صور على جدار قصر الملك سناخريب، حيث مثلوا في مقدمة النقش

٧٢لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، الإسكندرية ،١٤٢٦، ص ١٥٥ ، أمين عبد الفتاح محمود عامر ، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم ، الرياض ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٠

[73]Hoyland ,R.G. Arabia And the Arabs , from the Bronze Age to the Coming of Islam, London, 2001, p.62

كمال الصالحي ، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها ، ص ٢٧٤

[74]Fuchs ,A. Die Inschriften Sargons III , aus Korsabad , Gottingen ,1994,p.110

; Retso, J . The Arabs in Antiquity : Their History from the Assyrians to the Umayyad ,London,2003, p.147-153

[75]Zadok , R . Arabians in Mesopotamia During the Late –Assyrians Periods Chiefly According to the cuneiform sources , in; Zeitschrift der deutschen Morgen ländischen Gesellschaft 131 , 1981 , p.58

[76]Bryne , R .ASOR 331 , 2003 , p. 13

[77]Horowitz , W. Moab and Edom in Sargon Geography , in; Israel Exploration Journal 43 , p.151-156

يسيرون ليتم إعدامهم، ومنهم من تم إعدامه، وإذا كان هؤلاء من العرب، فمن المحتمل أنهم واجهوا جنوب العراق في حكم هذا الملك حوالي (٧٠٣-٧٠٠ق.م.) ، والمتبقي من هذا المنظر هو رسوم لرجال عراة لهم شعور منسدلة يتقدمون ، بينما هناك امرأة ترتدي عباءة طويلة تنتظر دورها ضمن من سيتم إعدامهم ، ولعل قتل النساء كان أمراً استثنائياً في هذه النقوش الآشورية ، إذ أن النفي كان العقوبة التقليدية، وعلى ذلك فمبرر القتل هنا – في كل زمان - أن الملك يؤدي واجبه كحارس لوطنه عن طريق إبادة أعدائه. (٧٨)

وعلى الرغم أن الأدلة على وجود أسماء عربية كان ضعيفاً في عهد الملك الآشوري سناخريب، إلا أن هناك أدلة على وجود روابط جديدة بين بلاد النهرين وقبائل العرب(٧٩)، فقد أشارت النصوص الآشورية في القرن السابع ق.م. إلى ملكتين عربيتين أخرتين، هما يتيئة وتلخوخو (ربما تحريفا عن يتيئة وتلهونة)، وربما أن يتيئة قد تحالفت مع أحد الزعماء الكلدانيين في بابل وهو (مردوخ بلادان) الذي قام بثورة ضد سناخريب، وعندما انتصر عليه الأخير سجل انتصاره على نقش يحدثنا فيه أن من بين الأقوام التي اشتركت في تدعيم هذه الثورة عرب وآراميون وكلدانيون.(٨٠)

ويبدو أن يتيئة قد أسندت جيشها إلى أخيها بسقاتو (تحريفا فيما يبدو عن الباشق) ولكن الجيوش الآشورية هزمت جيشها وأسرت أخاها .

أما تلهونة (أو تلخوخو) سلكت مسلكاً آخر للدفاع عن أرضها حيث تحالفت مع ما ذكرته النصوص الآشورية ملك قبائل قيدار (قيدري) المجاورة في الجوف، والمدعو حزائيل، ولكن حلفهما فشل في أداء مهمته كما تروي النصوص الآشورية، ففرت الملكة إلى أدوماتو(دومة الجندل)، فلحقت بها القوات الآشورية وأسرتها هي وابنتها أو أميرة من أفراد أسرتها تدعى "تبؤة "، واستولت على تماثيل معبوداتها، وتعهد البلاط الآشوري الأميرة الأخيرة بالرعاية لتشب وفية مخلصة له، وعندما بلغت سنا مناسباً اعترف بها ملكة على قومها .

كما ربطت النصوص الآشورية بين ملكة عربية أخرى وبين ملك قيدار المدعو (إيا إيلو ابن حزائيل)، كحليفة له ضمن ملوك آخرين، وذكرت هذه الملكة باسم (بائيلو)، تحريفا عن الاسم العربي (باهلة)، ويرجح جلازر أن اسم الملكة يرتبط بقبيلة باهلة

---

[78]Reade , J.E .Assyrian Illustrations of Arabs ,in; Arabia and its Neighbors , p.225 ;Retso, J . The Arabs in Antiquity : Their History from the Assyrians to the Umayyad ,London,2003, p.153-158

[79]Bryne , R .ASOR 331 , 2003 , p. 14

٨٠عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ١٤١-١٤٢ ، كمال الصالحي ، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها ، ص ٢٧٤

في ديار أخلة أو أجلة في منطقة نجد في الخرج، ولا يزال تحديد موقع سكنى الملكة محل جدل . [٨١]

ونتيجة هذه الانتصارات التي حققها سنخريب على القبائل العربية أطلق على نفسه – كما تذكر نصوصه- "ملك العرب والآشوريين" ، وإن كان يرجح أن العرب هنا سكان البقاع المجاورة لآشور والذين خضعوا في تلك الفترة لسنخريب .[٨٢]

٥- أسارحدون(٦٨١- ٦٦٩ ق.م.):

وإلى جانب سياسة القمع الآشوري في تلك الفترة، ظهرت سياسة أخرى يمكن أن نسميها سياسة الاحتواء السياسي من الداخل، عن طريق تدخل ملوك آشور في تنصيب الزعماء العرب الذين يثقون في ولائهم، والذين أصبح يشار إليهم في النصوص الآشورية على أنهم ملوك وملكات، وهو أمر قد يدل على أن تنظيم التجمعات القبلية العربية قد أصبح أكثر رسوخا .

وهكذا نرى الملك أسارحدون يعين الملكة العربية تبؤة التي نشأت في قصر والده سناخريب ملكة على قومها ، في دومة الجندل ، ونجده في مناسبة أخرى يعفو عن ملك مدينة (يادع) الذي استطاع الهرب من جيوش الملك في إحدى حملاته ، فيعفوا عن هذا ويعينه ملكا على بلاد (بازو) .

ومن الأدلة النصية على ذلك أيضا خطابين عثر عليهما مؤخراً، من عهد أسارحدون ذكر فيهما لفظ العرب، ضمن قائمة ممن ارتبطوا بالقصر،وأخذوا لقب "أبناء القصر"، وربما أن منهم بعض الأميرات أو الأمراء ممن أسروا من العرب ثم تربوا في قصر الملك.

أما من جانب العرب فقد بدا موقفهم في هذه المرحلة أكثر إيجابية من المرحلة السابقة، فلم يعد موقفهم قاصرا على التصدي لحملات الملوك الآشوريين، أو الهرب في بعض الأحيان من وجهها، وإنما بدءوا ينتهزون فرصة التخلخل الذي بدأ يصيب الدولة الآشورية من الداخل، حيث النزاعات على العرش التي صاحبتها ثورات داخلية في بعض الأحيان[٨٣].

٦-آشور بانيبال (٦٦٩- ٦٢٧ ق.م.) :

لعل العلاقات العربية في عهد الملك أشور بانيبال قد أخذت بعداً جديداً، ففي أثناء الثورة التي قام بها أخيه (شمش شوم أوكن) حاكم بابل ضده، قام العرب بدعم الثورة ضد الملك الآشوري، ولم يكونوا من قبائل البادية الملاصقة لنهر الفرات كما حدث من قبل في عهد سناخريب، وإنما كان الزحف تجمع عربي وقبلي من دومة الجندل وتيماء (شمال الجزيرة العربية)، تحت قيادة الملك العربي ياتع، الذي يبدو أنه لم

٨١عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ص١٤١-١٤٢

٨٢كمال الصالحي ، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها ، ص ٢٧٥

[83]Retso, J . The Arabs in Antiquity : Their History from the Assyrians to the Umayyads ,London,2003, p.158-160

يكتف بدعم الثورة بقواته، وإنما لعب دوراً أساسيا في تكوين حلف ضم قوات زعماء أو ملوك عرب آخرين لهذا الغرض، كما زاد على ذلك في أكثر من مناسبة لاستمالة الأنباط (في أقصى الطرف الغربي للهلال الخصيب)، إلى جانبه في عدائه للملك آشوربانيبال، وبالفعل نجح في ذلك لتحقيق هدفه لمهاجمة حدود الدولة الآشورية ذاتها بتدعيم من (ناينتو) زعيم الأنباط.[٨٤] وعلى النقيض من ذلك ذكرت الحوليات الآشورية في عهد آشوربانيبال أن العرب في شمال الجزيرة قد قدموا له الجزية، وأنه اتسعت الصلات التجارية بين الجانبين، مما يجعلنا نتخيل مدى الاستخدام الواسع للطرق الجنوبية لمنطقة النفوذ.[٨٥]

ويتضح تمثيل العرب أيضا ضمن نقوش موكب للأسرى على إحدى جدران قصور نينوى من عهد آشوربانيبال، أحدها يبين جزءاً من منظر يتصل بالعرب والانتصار عليهم، والغنائم القادمة من أرضهم، حيث يبدو جملا يحمل فاكهة – ربما بلحاً – وربما أن ركوب الأسرى الإبل بهذه الطريقة يعد نوعا من الإذلال، إلا أنه لا يعطينا إشارة واضحة عن هؤلاء العرب أنفسهم. [٨٦]

وتبين مناظر من الحجرة (L) من القصر الشمالي بنينوى ثلاثة صفوف من المعارك بين الآشوريين والعرب في عهد آشوربانيبال (شكل ٦)، حيث استخدمت العجلات الحربية في المنظر – والتي تطورت عن سابقتها الثقيلة فيما سبق- وأصبحت أكثر نجاحا في التقدم نحو الهدف، سواء أكان هذا الهدف هو أحد الأعداء من المشاة أو ممن يمتطون الجمال .

وهذه المناظر تبين بوضوح كيفية استخدام وحدات الجيش الآشوري،وتطبيقها لإستراتيجية محكمة لتحقيق النصر، فقد استطاعت العربات الأولى و من ورائها الفرسان الآشوريين من تشتيت العرب، كما سحقت بعضها الأعداء ودوابهم، بينما عمل المشاة الآشوريين على الهجوم على بعض جنود الأعداء وسحق خيامهم ومعسكراتهم [٨٧].

حيث مثل العرب يقاتلون بسيوف قصيرة ومستقيمة، وأقواس وسهام (شكل٦) [٨٨] وهو أحد المناظر التي تموج بالحركة والكر والفر والسرعة، يقاتل فيها الأعراب

٨٤لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، ص ٤١٣، كمال الصالحي ، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها ، ص ٢٧٥

Retso, J .Op.Cit., p.161 , 166-168

[85]Bryne , R .ASOR 331 , 2003 , p. 19

[86]Reade , J.E .Assyrian Illustrations of Arabs ,in; Arabia and its Neighbors , p.227 ; Weidner ,E.F. Assyrische Beschreibungen der Kriegs – Reliefs Assurbanipalis , in : Archive Für Orient forschung 8 , 1993 , p,194-195

[87]Nadali , D. Assyrian Open Field Battles , an attempt at reconstruction and analysis in : Studies an War in the Ancient Near East ,p. 132 ,fig19

[88]Reade , J.E . Op.Cit ., p.227 , fig .5 ; Barnett ,R.D. Sculptures from the North Palace of Assurpanipal at Nineveh , 1976 , pls. XXXII-XXXIII

مشاة، وعلى ظهور البعير، يمتطي كل اثنين بعيراً يسوقه أحدهما بعصا، والآخر يرمي عن قوسه أماماً وخلفاً، وتجري النجائب بسرعة عجيبة لتنقذ راكبيها، وتنجو بنفسها، حتى لتكاد تقفز أو تطير[٨٩]، وتبدو في أحد الصفوف مطاردة الآشوريين لهم في بساتين النخيل، حيث يقوم الآشوريين بقطع الأشجار .

كما يبدو في نقش آخر معسكراً للعرب (شكل ٧)، وقد قسم المنظر إلى ثلاثة صفوف، يمثل الصف الأول هجوما لجنود آشوريين يضربون امرأة عربية في خيمتها، وربما كان ذلك أثناء المعركة، والصف الثاني يبين الخيام في حالة جيدة مثبتة في أوتادها، أما الصف السفلي فنجد الخيام تحترق وقد تفككت حبالها ، وقد تمدد رجال ونساء أمواتاً بعد انتهاء المعركة . [٩٠]

ويلاحظ أنه على الرغم من عدم صمود العرب أمام القوة الآشورية التي كانت تتبعهم، وبالرغم من هزائمهم المتكررة أمام الجيوش الآشورية، إلا أن القبائل العربية قد بلغت من القوة ما جعلهم يكررون الهجوم على آشور مرة تلو الأخرى[٩١]

وقد ذكر ضمن حوليات آشوربانيبال أن ملكة العرب (عدية) قد تحالفت مع أحد الثوار المدعو (يوتا)، وأنها هزمت وأخذت أسيرة، كما تم أسر (يوتا) نفسه، وقيد بالسلاسل، كما تذكر هذه الحوليات على إحدى بوابات نينوى والتي تؤرخ بحوالي ٦٤٩ق.م. [٩٢]

خامساً : الأدلة النصية والتصويرية على وجود صلات حضارية بين بلاد النهرين وشمال شبه الجزيرة العربية في العصر البابلي المتأخر:

١- نبذة عن العصر البابلي المتأخر :

عندما ورثت الدولة البابلية الكلدانية مناطق النفوذ الآشوري في الشرق الأدنى، كان من الطبيعي أن تتجدد العلاقات السلمية الاقتصادية والتجارية ، كما تتجدد المناوشات الحربية، بينها وبين الإمارات العربية التي تحف بهذه المناطق ، لولا أن النصوص البابلية لم تسجل شيئا عن هذه العلاقات حرباً كان أم سلماً ، إلى جانب الحقيقة الأخرى المتوقعة وهي أن العرب بدورهم لم يكتبوا نصوصا تتحدث عن أحوالهم مع بابل، وظل الحال على هذا الغموض حتى اشتد التنافس بين دولة بابل والفرس وتدهورت أحوال بابل [٩٣].

---

٨٩ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر والعراق، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٨١١

Barnett, R.D. Assyrian Palace Reliefs in The British Museum , London , 1970 , p, 31, pl.xv ;Hoyland ,R.G. Arabia And the Arabs , from the Bronze Age to the Coming of Islam, London, 2001,p.191 , pl.29d, p.190. pl.29b

90 Reade , J.E .Assyrian Illustrations of Arabs ,in; Arabia and its Neighbors , p.227,fig.5

٩١كمال الصالحي ، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها ، ص ٢٧٥

92Reade , J .E. Op.cit., p.228

٩٣عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ص١٤٢-١٤٣

وعلى أية حال فإن طريق النفوذ ويثرب وتيماء قد استخدمت من قبل الآشوريين والعرب وغيرهم وبصورة كبيرة ، فكانت تمر البضائع من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى بلاد النهرين عبر المنطقة الوسطى والشمالية من شبه الجزيرة العربية في العصر الآشوري الحديث ، واستمر الحال بكل تأكيد في العصر البابلي المتأخر أيضا، ويعتقد بعض الباحثين أن عدد من القوافل العربية كانت تتوجه مباشرة نحو جنوب بلاد النهرين من المراكز العربية في تيماء و دومة الجندل وغيرها بغرض التجارة ([٩٤])

فإذا كانت العلاقات الخارجية بين العرب وبلاد النهرين قد اتخذت في عهد الآشوريين منطلقاً اقتصادياً، يحاول فيه الآشوريين بسط نفوذهم على المواقع الأساسية للطرق التجارية البرية في الغرب من جهة ، ويحاول بعض أقوام العرب أن يقابلوا هذا الاتجاه الآشوري بتصد يصل إلى درجة الهجوم في مناسبات أخرى ، فإن ظروف الدولة البابلية الحديثة قد دفعتها إلى اتخاذ موقف من العرب لم يصل إليه الآشوريين من قبل، وكان محور هذه الظروف هو الوضع الاقتصادي المتدهور الذي كانت الدولة البابلية نفسها مقبلة عليه .

كما أن سقوط آشور قد أتاح فرصة ذهبية أمام عدد من القبائل العربية للسيطرة على المواقع الحيوية على الطرق التجارية الرئيسية ، التي كانت تربط بين جنوبي شبه الجزيرة العربية القديمة وشمالها، وأهم هذه القبائل هم الأنباط الذين نجحوا في الاستقرار في المنطقة المحيطة بالبتراء (جبل سعير) ، بعد أن زحزحوا القبائل الأدومية من هذه المنطقة ودفعوا بهم نحو الشمال ([٩٥]).

٢- **أهم ملوك بابل وعلاقاتهم بالعرب :**

- **نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥-٥٦٢ ق.م.):**

يعد الملك نبوخذ نصر الثاني أشهر ملوك الدولة الكلدانية ، أو العصر البابلي المتأخر، وكان يتميز بكفاءة عسكرية وإدارية ، واتسعت حدود الدولة في عهده ، وامتدت من الخليج العربي إلى الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط ، وصار لها إمبراطورية واسعة ضمت سوريا وفلسطين ([٩٦]) .

وبعد سقوط نينوى سيطر الميديون على شرق الأناضول ، وتركوا البابليين في كامل السيطرة على آشور، حاول الملك نبوخذ نصر بعد فترة أن يوجه نشاطه لإبقاء النشاط الاقتصادي لجنوب بلاد النهرين ، وأن يعيد بناء مدنها التي تضررت في الفترات الآشورية الأخيرة ، فقام بتأسيس قاعدة أمامية عسكرية على الفرات ، واتجه شمالا نحو قرقميش وبلاد الشام ، واستمر بنوخذ نصر في تحسين القوة الدائمة لحماية طرق التجارة التي يعتد عليها ازدهار الدولة البابلية ، وأخذ وقتا في إكمال ما

---

[94]Bryne , R .ASOR 331 , 2003 , p.22

٩٥لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، ص ٤١٤

[96]Hoyland ,R.G. Arabia And the Arabs , from the Bronze Age to the Coming of Islam, London, 2001 , p.62

بدأه والده "نبوبولاسر" لإعادة بناء المدن السومرية وبناء بابل نفسها فجاءت التصميمات المعمارية الرائعة في عهده [٩٧].

وقد وضع نبوخذ نصر برنامجا لإعادة بناء وتجديد مدينة بابل ، من معابد وقصور وأسوار وشوارع ، وبقيت بابل كمدينة عظيمة في عهده ، فكانت عاصمة الإمبراطورية البابلية كما كانت مدينة مقدسة ، ومركزاً دينيا لعبادة الأرباب نابو ، ومردوخ ، وانليل ، ونينورتا ، وكان المعبد الرئيسي لمردوخ في بابل قد تأثر لهجوم الملك الآشوري سنخريب على بابل، الذي استولى على كنوز المعبد ومنها تمثال مردوخ ، حيث ظل التمثال في نينوى حتى عهد آشوربانيبال [٩٨].

وقد وردت إشارة في المصادر العربية تدل على أن غزو نبوخذ نصر للقبائل العربية وصل إلى مكان يدعى (ذات عرق) ، وأنه عاد بعدد كبير من الأسرى والسبايا، وكان الملك البابلي يهدف إلى توسيع إمبراطوريته ، فحروبه في سوريا وفلسطين لابد أن تكون قد شملت الأعراب المقيمين هناك ، فضلا عن شمال الجزيرة العربية ، كما أن العاصمة البابلية كانت مجاورة للمناطق العربية الشرقية ، وكل هذا يدعو إلى الاحتكاك بين الطرفين ، وإلى تحرش العرب بجيوش نبوخذ نصر، بالإضافة إلى أطماع الملك البابلي في الجزيرة العربية [٩٩].

- **نابونيد*:**

كان نابونيد آخر من تربع على عرش الإمبراطورية البابلية المتأخرة ، قبل أن يضع الفرس نهاية لحكم الأسرات المحلية في العراق القديم ، وكانت السياسة التي اتبعها هذا الملك - سواء في الشئون الدينية أم في النواحي العسكرية - مثاراً لكثير من المناقشات التي جعلت عصره ذا طابع خاص يختلف عن عصر أسلافه .

١- حملة نابونيد على شمال الجزيرة العربية من خلال وثائق عصره :

ولحسن الحظ أن تواريخ عصر نابونيد معروفة بصورة دقيقة ، ومن أصدق المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة تاريخ هذا الملك ، سجل كتب على لوحة من الطين ، رتبت عليها أحداث عصره حسب سنين حكمه ، ومن هذا السجل نعرف أن نابونيد ذهب إلى تيماء إما في نهاية السنة الثالثة أو الرابعة من حكمه.

ومن المصادر المهمة الأخرى التي تناولت أحداث عصره ما يسمى (سجل التاريخ الملكي) وهي ليست بحالة جيدة ، ومن هذه اللوحة يمكن القول أن حملة السنة الثالثة من حكم نابونيد التي وجهت إلى سوريا تابعت مسيرتها إلى

---

[97] Lloyd ,S . The Archaeology of Mesopotamia , from the Old Stone Age to the Persian Conquest , London , 1978 , p.222

[98] 2008,p.54ff Finkel , I .L. & Seymour ,M.J. Babylon m Myth And Reality ,British Museum,

٩٩ كمال الصالحي ، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها ، ص ٢٧٨،٢٧٧

* اعتادت المصادر على كتابة اسم هذا الملك (نابونيد) أو (نابونيدوس) كما كان يكتبه الإغريق ، ولكن الكتابة الصحيحة لهذا الإسم هي (نابونعيد) ويعني (المعبود نابو رفع الملك).

فلسطين حتى وصلت إلى شمال الحجاز حيث ورد اسم دومة غير كامل (دومو) وهي نهاية كلمة (أدومو) أو (أدوماتو) ، وهي مدينة في شمال الجزيرة العربية يعتقد أنها الجوف الحالية [١٠٠]، وهناك أيضاً(نص حران) ، والذي عثر عليه في خرائب جامع حران الكبير عام ١٩٥٦، ويحدثنا عن أعمال الملك نابونيد ويذكر أن ذلك الملك قام في العام الثالث من حكمه بحملة على شمال غرب الجزيرة العربية لضمان السيطرة الكاملة على المنطقة، ورغبة في السيطرة على الطريق التجاري البري بين بلاد الشام وجنوب بلاد العرب .

ويذكر أنه احتل في تلك الحملة عدداً من الأماكن تم تحديد موقعها وهي : (ددانو) وهي دادان أو العلا الحالية ، و(باداكو) وهي (فدك) الحالية ، وأما (خبيرا) فهو مكان (خيبر) الحالية، وكلمة (ياتريبو) أو (تريبو) تدلل على مكان (يثرب) الحالية أو المدينة المنورة، وهو آخر موقع استولى عليه البابليون في الحجاز ألحقوه بمملكتهم، مملكة بابل ، وهذا يؤكد أهمية تلك المدن وضرورة السيطرة عليها فهي تحتل مراكز رئيسة على طريق التجارة الهام القادمة من جنوب الجزيرة العربية ، وبذلك قضى على خطر القبائل العربية التي كانت تهدد أمن وسلامة بابل [١٠١]

وقد جاء في هذا النقش على لسان الملك ما يلي : " لقد غادرت مدينتي بابل وسلكت الطريق إلى تيماء ، وديدانو ، وباداكو ، وخبيرا ، ويادیحو ، وياتريبو ، حيث تنقلت بينها لمدة عشر سنوات ، ولم أدخل مدينتي بابل ، وجميع هذه المدن تقع في الحجاز ، وموضع (يادیحو) هو الآن موضع (يديع) ، ويقع بين فدك وخيبر ، ويسمى الآن "الحويط" .[١٠٢]

٢- الطريق الذي سلكته حملة نابونيد إلى شمال الجزيرة العربية :

تدلنا الوثائق من عصر نابونيد عن " الطرق الوعرة التي لم تطأها قدم من قبل " وأنه " سلك السبيل إلى الطرق البعيدة " ، مما يؤكد أن الملك البابلي لم يذهب إلى تيماء بالطريق المألوف الذي يصل العراق القديم بشمال الجزيرة العربية ، والذي يبدأ من الوركاء مخترقاً الصحراء، مارا بالجوف (دومة الجندل)حتى تيماء، بل الأرجح أنه ذهب أولا إلى أدوم ومنها إلى تيماء حيث الطرق جبلية والمسالك وعرة[١٠٣].

١٠٠خالد الدسوقي ، (نابونيد) ، مجلة الدراة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٧٦م -١٣٩٦هـ، ص ١٩٠، ١٩٢ ،٢٠٣، ٢٠٤

١٠١شوقي شعث ، مدن القوافل في شبه الجزيرة وبلاد الشام ، محطات لتبادل السلع والأفكار والفنون والعادات والتقاليد ، مجلة التراث العربي ، مجلد ٢٤ ، العدد ٩٦ ، ٢٠٠٤ ، ص ٩٦، كمال الصالحي ، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها ، ص ٢٧٨

١٠٢خالد الدسوقي ، (نابونيد) ، مجلة الدراة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٧٦م -١٣٩٦هـ، ص ١٩٣

Lambert ,W . G .Nabonidus in Arabia proceeding to the fifth Seminar for Arabia Studies ,1972, p.58

١٠٣خالد الدسوقي ، المرجع السابق ، ص ١٩٣

٣- الأسباب التي أدت إلى حملة نابونيد إلى شمال الجزيرة العربية :

ولعل هناك عدداً من الأسباب التي أدت إلى حملة نابونيد إلى شمال الجزيرة العربية منها أسباب اقتصادية، و سياسية ، وعسكرية، و صحية، ودينية .

*** أسباب اقتصادية:**

أمام التدهور الاقتصادي الذي بلغ أقصاه في نهاية الدولة البابلية الحديثة من جهة، والازدهار الاقتصادي من جهة أخرى في المواقع العربية المسيطرة على الخطوط التجارية البرية ، وبخاصة الخط الذي يخترق شبه الجزيرة العربية من الشمال إلى الجنوب، نجد نابونيد يتجه بأنظاره إلى الغرب ، ويقرر نقل إمبراطوريته إلى واحة تيماء التي تشكل موقعاً حيوياً على الطريق التجاري الذي يصل شمالي شبه الجزيرة بجنوبها [١٠٤]

*** أسباب سياسية وعسكرية :**

ولقد تأثرت بابل كثيرا باستيلاء الميديين على حران عام ٦١٠ ق.م. إذ أنهم بهذا العمل سلبوا بابل سيطرتها على الطرق التجارية الشرقية ، الأمر الذي اضطر ملك بابل إلى التفكير في السيطرة على هذه الطرق المتجهة شمالا إلى الجزيرة العربية ، فكان الغرض الرئيس من هذه الحملة السيطرة على الطريق التجاري الذي يربط بين جنوب بلاد العرب والحجاز والشام والعراق .[١٠٥]

وكان لزاماً على نابونيد أن ينقذ إمبراطوريته ويسترد حران من أيدي الميديين ، بل أيضاً يسترد المواقع الإستراتيجية التي تلتقي عندها الطرق التجارية التي تصل شمال العراق بسوريا وآسيا الصغرى ، فاستنجد بالملك الفارسي قورش ، وطلب منه المساعدة لصد خطر الميديين ، واستخلاص حران من يدهم ، إلا أنه بعد مساعدة الفرس للبابليين وانتصارهم على الميديين زاد خطرهم ، فأحس نابونيد أنهم لن يتركوه وشأنه ، بل لابد أن يزحفوا على مملكته في يوم ما ، إزاء هذا كله قام بحملته الشهيرة إلى شمال الحجاز.

وجاء في حوليات الملك نابونيد عبارات تدل على نشوب معركة حربية بينه وبين حكام بعض المدن التي غزاها في شمال الجزيرة هم أهل تيماء وديدان ، و لعل الذي يسر للعاهل البابلي الاستيلاء على هذه المدن ، أن الحجاز لم يكن آنذاك تحت حكومة قوية واحدة يرأسها ملك واحد، وإنما كانت عبارة عن حكومات قرى ومدن وقبائل ، تتشاور فيما بينها في أمور السلم والحرب ، وقد صحب نابونيد معه جيش أكد القوي، وأقام التحصينات اللازمة في تيماء ، كما ترك حاميات عسكرية للحفاظ على هذا الشريان التجاري المهم ، ويذكر نقش حران أن الملك كان ينتقل بين هذه المدن التجارية ، مما يؤكد قيام حاميات عسكرية تخضع للمراقبة والتفتيش باستمرار.[١٠٦]

١٠٤لطفي عبد الوهاب العرب في العصور القديمة ، الإسكندرية ،١٤٢٦، ص٤١٥ ،٤١٦

١٠٥خالد الدسوقي ، (نابونيد) ، ص ١٧٠

١٠٦خالد الدسوقي، نابونيد ، ص ١٩٣ ،١٩٤ ، ٢٠٠ ،٢٠١

*** أسباب دينية :**

ويعتمد هذا الرأي على عبارات من نقش حران ، وعلى التعصب الظاهر الذي أبداه نابونيد تجاه عبادة (سين) رب القمر ، وإعادة تشييد الملك معبد له في حران ، كان قد دمره الميديون عام ٦١٠ ق.م. أثناء حروبهم مع أشور ، وأن رجال الدين (الكهنة) قد استاءوا من انحياز ملكهم للمعبود سين، وأظهروا كراهيتهم لهذا الأمر[١٠٧]، مما اضطر نابونيد لاتقاء غضبهم وترك عاصمته بابل، ولجأ إلى تيماء رغبة في عبادة معبوده المفضل (سين) في هدوء، ويشبه بعض الباحثين بين موقف نابونيد، وموقف أخناتون حيث هاجر من طيبة ليتعبد لمعبوده بعيداً عن غصب كهنة آمون .[١٠٨]

*** أسباب صحية:**

حيث تمدنا بعض المخطوطات المكتوبة باللغة الآرامية ، والمعروفة بلفائف البحر الميت، والتي عثر عليها في (قمران)، بمعلومات عن المرض الذي أصيب به نابونيد، ولازمه لمدة سبع سنوات، ويرى البعض أنه كان مرضا جلدياً مزمناً ، وربما أنه استقر في تيماء للاستشفاء، حيث حاول الاستنجاد بالأرباب والكهنة أثناء إقامته في تيماء لشفائه.[١٠٩]

٤- مدة إقامة نابونيد في شمال الجزيرة العربية:

يمكن القول أن الملك نابونيد مكث في شمال الحجاز من عام حكمه الرابع حتى العام الثالث عشر، أي من عام ٥٥٣ ق.م. إلى عام ٥٤٤ ق.م. ، وأن إقامة نابونيد في شمال الحجاز تؤكدها لنا أيضا الوثائق الإدارية من بابل ، والتي تبين أن ابنه (بلشاصر) كان يحكم البلاد نائباً عنه، بل فيها ما يشير إلى أنه كان يشارك أباه في عرشه في هذه المرحلة، حيث كان يذكر اسم نابونيد وولي عهده، بدلا من أن يذكر اسم الملك فقط [١١٠].

٥- تيماء مقر حكم الإمبراطورية البابلية الحديثة :

تدل معظم الوثائق على أن نابونيد كان بعيداً عن العاصمة، لكنه كان يصدر أوامره إلى ولده منها، مما يدل على أنه لم يتخل نهائياً عن إدارة الأمور في العاصمة، ولعل الاتصال الدائم بين نابونيد - أثناء إقامته في تيماء- وبين بابل ليضع افتراضاً بأن تيماء أصبحت عاصمة الإمبراطورية البابلية الحديثة طوال فترة إقامة العاهل البابلي فيها.

ومما يرجح ذلك ما بذله الملك نابونيد في إعمار تيماء وتشييد قصره فيها مثل قصره في بابل ، لتصبح ملائمة لاقامته واقامة بلاطه [١١١].

---

[107] André – Salvini , B . Babylone ,

[108] Lloyd ,S . The Archaeology of Mesopotamia , p.223

١٠٩خالد الدسوقي، نابونيد ، ص ١٩٨

[110] Doogherty , Y . Oriental Series Researches , Vol.15 , 1929, p.97ff

١١١خالد الدسوقي ، المرجع السابق ، ص ١٩٥

وكذلك أن ملك مصر أرسل وفداً للملك نابونيد ، رغم أنه خارج العاصمة بابل ، وهذا يدل على اعتراف ضمني بشرعية حكم الملك البابلي ، وامتداد سلطانه إلى تيماء بالجزيرة العربية واتخاذها مقراً لحكمه [١١٢].

وقد عثر في منطقة رم جنوب غرب تيماء على نصوص نبطية وثمودية ، منها نص رقم ١٧٧،١٦٩ ، واللذان يشيران إلى كون كاتب النص (إن - رس) ، كان حليفاً للملك البابلي نابونيد ، كما يدلان على أن نابونيد قد اتخذ من بعض القبائل العربية ، وبالذات التي تستخدم القلم الثمودي حلفاء له ، ليضمن سلامة الحدود الجنوبية لمملكته وعاصمته الجديدة تيماء [١١٣] ، ويبدو أن سكان بعض المناطق العربية آثروا قبول الأمر الواقع وطلبوا حسن العلاقات مع بابل [١١٤].

٦- نهاية نابونيد :

عاد نابونيد إلى بابل لحماية عاصمته من الفرس ولتهدئة شعبه الذي ثار ضده ربما نتيجة طول غيابه عن المملكة وعن العاصمة بابل ، وبعد سقوط بابل في أيدي الفرس ٥٣٩ ق.م. ، تم القبض على نابونيد ، وربما أنه لقي مصرعه في هذه الآونة لتنتهي فترة حكمه على تيماء [١١٥].

٧- الآثار البابلية في منطقة تيماء

عثر على أعداد كبيرة من القوارير والأواني الفخارية مختلفة الأحجام في تيماء، منها ما يعود للعصر للبابلي من القرن السادس أو الخامس ق.م. ، مما يثبت وجود البابليين في تيماء [١١٦].

كما تعكس الكشوف الأثرية الحديثة أيضا الوجود البابلي في تيماء، حيث عثرعلى لوحة عام ٢٠٠٥أثناء الحفائر السعودية الألمانية في موقع تيماء (شكل٨)[١١٧].

كما عثر على ثلاث مسلات شهيرة في تيماء ، الأولى عثر عليها Charles Hubers عام ١٨٨٣ م ، والتي كتبت على وجه واحد بالآرامية ، وعلى الجانب الأيسر نقش عليها رسمان ربما كانا لملك وكاهن ، وقد حاول العلماء معرفة هوية هذا الملك ، وهل هو نفس الهيئة التي سجلها الملك نابونيد لنفسه في مسلة حران ، ووصلوا أن النقشين ربما كانا لشخصية واحدة هي شخصية نابونيد نفسه ، وعلى كل فالمتفق عليه الآن هو أن تلك المسلة البابلية في تيماء تعود للقرن الخامس ق.م. ، وأنها تشير إلى المعبود (صلم) ، ولعله كان المعبود الرئيسي في تيماء إلى جانب معبودات أخرى ،

١١٢كمال الصالحي ، المرجع السابق ، ص ٢٧٨-٢٧٩

١١٣سليمان بن عبد الرحمن الذبيب ، نقوش نبطية جديدة من منطقة رم ، جنوب غرب تيماء بالمملكة العربية السعودية ، مجلة الدارة ، المجلد ٢٤ ، العدد الأول ، ١٩٩٨ ، ص ١٧٣

١١٤لطفي عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ٤١٦

١١٥خالد الدسوقي ، المرجع السابق ، ص٢٠٢

١١٦صبحي أنور رشيد ، دراسة لفخار تيماء ، مجلة الدارة ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، ١٩٧٦ ، ص ١٠١ وما تلاها ، لوح ٢ ، ٣

[117] André – Salvini , B . Babylone , p. 187,pl.109

ولكن ليس هناك ما يؤكد ذلك أو ينفيه [١١٨]. وقد نقلت هذه المسلة أولا إلى جدة على ظهور الإبل ، وهي حاليا في متحف اللوفر في باريس بفرنسا .

- أما المسلة الثانية فقد عثر عليها في قصر الحمراء ، كما عثر على جزء من المسلة الثالثة في قُرية ضمن ما عثرت عليه البعثة السعودية الألمانية بتيماء برئاسة (ريكاردو ايشمان) عام ٢٠٠٦ م ، وكانت تحمل نقوش المسلة طابع بابلي ، لكن لم يذكر اسم نابونيد عليها ، ثم عثر على كسرة أخرى عام ٢٠٠٩ م ، كتب عليها بوضوح اسم نابونيد فتم استنتاج أنه هو المصور في هذه المسلة متعبداً إلى رموز القمر والشمس والزهرة (شكل ٩).

وجدير بالذكر أن نقوش المسلات الثلاث ذات طابع ديني ، حول ما يقدم من نذور وطقوس في المعابد التي يهتم بها نابونيد وسدنة المعبد [١١٩].

نتائج البحث :

١- الرخاء النسبي للمدن والممالك في شمال الجزيرة العربية وشمالها الغربي، نظراً لوقوعها على طريق التجارة البري الرئيسي بين الشمال والجنوب ، ولعل أهمها منطقتان لعبتا دورا مهما في النصوص الآشورية والبابلية ، هما "تيماء" و"دومة الجندل".

٢- من أهم الأقوام التي استقرت في شمال الجزيرة العربية في الفترة الممتدة منذ الألف الأول ق.م. : الجاليات التجارية لممالك سبأ ، ومعين ، وقتبان التي استقرت حول واحة ددان (العلا) وواحة تيماء لحماية مصالحها التجارية ، وكذلك دولة ديدان ولحيان اللتان امتد نفوذهما ليشمل معظم شمال الجزيرة العربية ، وأيضا الأنباط الذين بسطوا سلطانهم على الحجاز الشمالية ، وفرضوا على أهلها حضارتهم وثقافتهم.

٣- اتصلت الأطراف الشرقية والشمالية الشرقية العربية أيضا بآشور وبابل ، فقد تعاقبت نصوص مسمارية بابلية وآشورية تذكرهم بعد عهد سرجون الأول ، مما يدل على امتداد النفوذ العراقي على هذه الأجزاء الشرقية ، ولكن يبدو أنه كان نفوذا تجاريا فقط ، قام على أساس استيراد المواد الأولية وبعض منتجات بخور منطقة ظفار، وما يتجمع من منتجات الهند وجزر المحيط الهندي على سواحل الخليج العربي، وذلك لتصريفه في أسواق بلاد النهرين ، وزادت النصوص الآشورية فأشارت في القرن الثامن ق.م. إلى أريبي (عربي) "مطلع الشمس" ، وعنت بهم

١١٨عبد الرحمن طيب الأنصاري ، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية ، ص٨٢

[119] http// alsahra.org/?P=7140

ملك بابلي يستوطن تيماء ، جولة قصيرة على آثار تيماء /فريق الصحراء

أعراب الشروق غرب الخليج العربي ، وعرفت هذه الأطراف الشرقية من شبه الجزيرة في النصوص المسمارية بأسماء (دلمون) و(ماجان) وملوخا .

٤- أن ظهور كلمة العرب لأول مرة في نصوص الملك الآشوري شلمانصر الثالث في القرن التاسع ق.م.، لا يعني بداية ظهور العرب معه في تلك الفترة ، فهناك قرائن عديدة على قدم وجود العرب بخصائصهم وخصائص لغتهم منذ عهود سبقت تلك الفترة بآماد بعيدة .

٥- انصرفت تسمية عرب (آريبي) التي تداولتها نصوص الشرق الأدنى القديم- والنصوص الآشورية بصفة خاصة - على العرب الشماليين أكثر منها العرب الجنوبيين، كما انصرفت للدلالة على أعراب البادية أكثر منها على أهل الحواضر في شمال الجزيرة وبادية الشام المتصلة بها .

٦- يبدو أن المنطقة البدوية التي كانت تقع على التخوم الجنوبية لمنطقة الهلال الخصيب بدأت تسترعي اهتمام الملوك الآشوريين، الذين وجدوا في هذه المنطقة ما يستدعي الحرص عليها، أو على الأقل على عمل فرض الأمن في أرجائها منعاً لسكانها من أي تحرك سياسي أو عسكري .

٧- لم تشر النصوص الأشورية إلى موقع الجماعات العربية التي هزمتهم جيوش شلمانصر الثالث في موقعة قرقر ٨٥٣ ق.م. ، ولكن أطلقت على زعيمهم اسم "جنديبو الآريبي" تحريفا لاسم جندب أو جندبة العربي ، وإن كان يعتقد أن إمارة المدعو جندب تقع في وادي سرحان .

٨- تعددت إشارات النصوص الآشورية بعد ذلك إلى الجماعات العربية القريبة من دولتها، والواقعة على طرق التجارة الواصلة إليها ، كما وردت أخبار انتصار ملوكها وجيوشهم الآشوريين على هذه الجماعات ، وتلقي الجزية منهم ، وهي أخبار تحتمل الصدق كما تحتمل الشك ، فيحتمل صدق بعضها على أساس عدم تعادل كفتي الفريق من حيث العدد والعدة ومن حيث وفرة الموارد ، ولكن يتعين الشك في بعضها الآخر لأنها وردت من جانب واحد هو الجانب الآشوري ، دون ذكر هزيمة واحدة.

٩- وقد تم تمثيل العرب في فنون العصر الآشوري ولعل أكثرها تبكيراً ما صور ضمن النقوش الجدارية من عصر الملك تيجلات بليسر الثالث ، ولم يكتف الآشوريين أن يسجلوا نصرهم كتابة فقط على الأقوام العربية ، إنما أسرفوا في تصويرهم بما أشبع كبريائهم ، كتمثيل بعض أميراتهم في مذلة الأسر كالأميرة (شمسي) التي لقبتها نصوصهم بملكة العرب، أو تمثيل أحد جنودهم في مشهد غير مسبوق يجر سيدة عربية – ربما إحدى الأميرات - من ثيابها ، مما يدل على أن قسوة الجنود الآشوريين لم تقتصر على الرجال فقط .

١٠- يصعب تعريف بعض الأسماء العربية في النصوص الآشورية في القرن الثامن ق.م.، كما يصعب تحديد هوية بعض الأسرى العرب في النقوش الآشورية من خلال ثيابهم فقط.

١١- أسرفت النصوص الآشورية في تصوير نصرهم على العرب من حيث عدد الغنائم، أو عدد المناطق التي خضعت لهم وذكرها على أنها مدناً وليست أقواما، كما زعم معظم ملوكهم أنه كان أول من حصل على الجزية من تلك الأقوام العربية.

١٢- وإلى جانب سياسة القمع الآشوري في تلك الفترة ، ظهرت سياسة أخرى يمكن أن نسميها سياسة الاحتواء السياسي من الداخل ، عن طريق تدخل ملوك آشور في تنصيب الزعماء العرب الذين يثقون في ولائهم ، والذين أصبح يشار إليهم في النصوص الآشورية على أنهم ملوك وملكات ، وهو أمر قد يدل على أن تنظيم التجمعات القبلية العربية قد أصبح أكثر رسوخا ، وهو ما تشير إليه النصوص وبخاصة في عهد الملك أسارحدون .

١٣- أن العلاقات العربية في عهد الملك أشور بانيبال قد أخذت بعداً جديداً ، ففي أثناء الثورة التي قام بها أخيه (شمش شوم أوكن) حاكم بابل ضده ، قام العرب بدعم الثورة ضد الملك الآشوري ، ولم يكونوا من قبائل البادية الملاصقة لنهر الفرات كما حدث من قبل في عهد سناخريب ، وإنما كان الزحف تجمع عربي وقبلي من دومة الجندل وتيماء (شمال الجزيرة العربية)، تحت قيادة الملك العربي ياتع ، الذي يبدو أنه لم يكتف بدعم الثورة بقواته ، وإنما لعب دوراً أساسيا في تكوين حلف ضم قوات زعماء أو ملوك عرب آخرين لهذا الغرض ، كما زاد على ذلك في أكثر من مناسبة لاستمالة الأنباط (في أقصى الطرف الغربي للهلال الخصيب)، إلى جانبه في عدائه للملك آشوربانيبال ، وبالفعل نجح في ذلك لتحقيق هدفه لمهاجمة حدود الدولة الآشورية ذاتها بتدعيم من (نابنتو) زعيم الأنباط .

١٤- برع الفنانون الآشوريون في تمثيل هيئاتهم وملابسهم وعرباتهم الحربية، وكذلك تمثيل هيئات أعدائهم من العرب، من حيث ملابسهم وأسلحتهم، وتمثيل خيامهم وإبلهم وماشيتهم، وتمثيل العرب أثناء القتال مشاة أو على ظهور البعير، وبرعوا في تمثيل فرار بعض العرب على نياقهم وهي تجري بسرعة عجيبة ، حتى لتكاد أن تقفز أو تطير (شكل٦).

١٥- ويلاحظ أنه على الرغم من عدم صمود العرب أمام القوة الآشورية ، وبالرغم من هزائمهم المتكررة أمام الجيوش الآشورية ، إلا أن القبائل العربية قد بلغت من القوة ما جعلهم يكررون الهجوم على آشور مرة تلو الأخرى على امتداد العصر الآشوري الحديث، وذلك حفاظا عن طرق التجارة وعلى مصالحهم في المنطقة .

١٦- أن طريق النفوذ ويثرب وتيماء قد استخدمت من قبل الآشوريين والعرب وغيرهم بصورة كبيرة، فكانت تمر البضائع من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى بلاد النهرين عبر المنطقة الوسطى والشمالية من شبه الجزيرة العربية في العصر الآشوري الحديث، واستمر الحال بكل تأكيد في العصر البابلي المتأخر أيضا، ويعتقد بعض الباحثين أن عدد من القوافل العربية كانت تتوجه مباشرة نحو جنوب بلاد النهرين من المراكز العربية في تيماء ودومة الجندل وغيرها بغرض التجارة .

١٧- كما أن سقوط آشور قد أتاح فرصة ذهبية أمام عدد من القبائل العربية للسيطرة على المواقع الحيوية على الطرق التجارية الرئيسية ، التي كانت تربط بين جنوبي شبه الجزيرة العربية القديمة وشمالها ، وأهم هذه القبائل هم الأنباط الذين نجحوا في الاستقرار في المنطقة المحيطة بالبتراء (جبل سعير) ، بعد أن زحزحوا القبائل الأدومية من هذه المنطقة ودفعوا بهم نحو الشمال .

١٨- أنه وردت إشارة في المصادر العربية تدل على أن غزو نبوخذ نصر للقبائل العربية وصل إلى مكان يدعى (ذات عرق) ، وأنه عاد بعدد كبير من الأسرى والسبايا ، وكان الملك البابلي يهدف إلى توسيع إمبراطوريته ، فحروبه في سوريا وفلسطين لابد أن تكون قد شملت الأعراب المقيمين هناك ، فضلا عن شمال الجزيرة العربية ، كما أن العاصمة البابلية كانت مجاورة للمناطق العربية الشرقية ، وكل هذا يدعو إلى الاحتكاك بين الطرفين، وإلى تحرش العرب بجيوش نبوخذ نصر ، بالإضافة إلى أطماع الملك البابلي في الجزيرة العربية.

١٩- أن هناك عدداً من الأسباب التي أدت إلى حملة نابونيد إلى شمال الجزيرة العربية منها أسباب اقتصادية، و سياسية ، وعسكرية ، و صحية ، ودينية.

٢٠- ذكرت حوليات نابونيد عددا من الأماكن في شمال الجزيرة العربية قد احتلتها جيوشه، وتم تحديد مواقعها، وأهمها العلا وفدك وخيبر ويثرب وتيماء ، وذلك لتأمين طريق التجارة البري الهام القادم من جنوب الجزيرة والمؤدي غلى بلاد الشام، والقضاء على خطر القبائل العربية التي كانت تهدد أمن وسلامة بابل ، كما تذكر الحوليات البابلية أن الملك نابونيد استقر في تيماء وأنه ظل يتنقل بين المدن سابقة الذكر، بعد أن ترك فيها حاميات عسكرية للحفاظ على هذا الشريان التجاري الهام في شمال الحجاز .

٢١- أن الملك نابونيد كان يحكم بابل أثناء إقامته في تيماء ، حيث كان يصدر أوامره إلى ابنه وولي عهده (بلشاصر) ، ويتشارك معه في عرش بابل ، ولعل الاتصال الدائم بين نابونيد أثناء إقامته في تيماء وبين بابل ليضع افتراضاً بأن تيماء أصبحت عاصمة الإمبراطورية البابلية الحديثة طوال فترة إقامة العاهل البابلي فيها ، ويؤيد ذلك عدة أمور منها :

- ما بذله الملك نابونيد في إعمار تيماء وتشييد قصره فيها مثل قصره في بابل.
- ارسال ملك مصر وفداً للملك نابونيد، رغم أنه خارج العاصمة بابل ، وهذا يدل على اعتراف ضمني بشرعية حكم الملك البابلي، وامتداد سلطانه إلى تيماء بالجزيرة العربية واتخاذها مقراً لحكمه.
- ما عثر عليه من بعض النصوص الثمودية في منطقة رم جنوب غرب تيماء التي تدل على وجود حلفاء من بعض حكام العرب للملك نابونيد ، لضمان الملك البابلي سلامة حدود مملكته وعاصمته الجديدة في تيماء.

٢٢- بعد سقوط بابل على أيدي الفرس عام ٥٣٩ ق.م. انتهى النفوذ البابلي على شمال الجزيرة العربية ، إلا أنهم تركوا بعض الآثار التي تدلل على وجودهم في المنطقة العربية تلك الفترة ، منها على سبيل المثال الأواني الفخارية وبعض اللوحات والمسلات، وبخاصة تلك التي عثرت عليها البعثة السعودية الألمانية في السنوات الأخيرة (شكل ٨-٩).

(خريطة ١) أهم الطرق البرية في شبه الجزيرة العربية ، نقلا عن :
h p//mo3alem .com

(شكل ١) أسرى عرب في نقش من عهد الملك تيجلات بليسر الثالث نقلا عن
Reade, J . E . Assyrian Illustra on of Arabs, in Arabia and its Neighbors, fig,1

(شكل ٢) أسيرة عربية ، ربما الأميرة شمس في نقش من عهد الملك تيجلات بليسر الثالث نقلا عن:

Reade, J . E . Assyrian Illustration of Arabs, in Arabia and its Neighbors, fig,2

(شكل ٣) نقش يمثل الملك تيجلات بليسر الثالث فوق العجلة الحربية يسحق أعدائه – نمرود

نقلا عن Nadali , D . Assyrian Open Field Battles ,in Studies an war in Ancient Near East,fig.7

(شكل ٤) أحد العرب يطارده الآشوريون وقد أصيب بعيره– قصر تيجلات بلسير في نمرود، نقلا عن Nadali , D . Assyrian Open Field Battles ,in Studies an war in Ancient Near East,fig.6

(شكل ٥) جندي يجر سيدة – ربما أميرة عربية – في قسوة غير مسبوقة في معاملة الأسيرات
Reade, J . E . Assyrian Illustration of Arabs, in Arabia and its Neighbors, fig,3

(شكل ٦) معارك الآشوريين والعرب – نقش من القصر الشمالي بنينوى للملك آشور بانيبال ،

نقلا عن

Nadali , D . Assyrian Open Field Battles ,in Studies an war in Ancient Near East,fig.19

(شكل ٧) معسكر العرب يهاجمه الآشوريين – نقش من القصر الشمالي للملك آشور بانيبال ،

نقلا عن :

Reade, J . E . Assyrian Illustration of Arabs, in Arabia and its Neighbors, fig,5

(شكل ٨) لوحة عثر عليها في تيماء تمثل الملك البابلي نابونيد متعبداً إلى رموز القمر والشمس والزهرة André – Salvini , B . Babylone , p. 187,pl.108

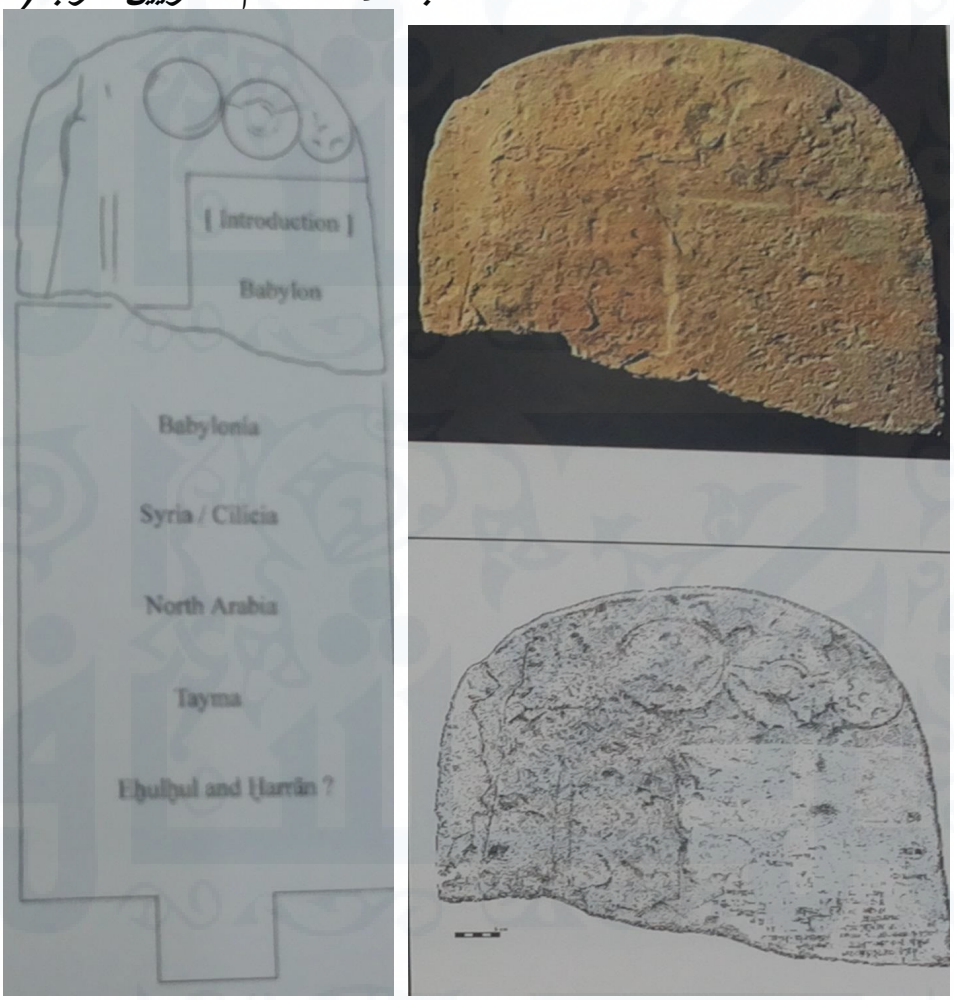

(شكل ٩) المسلة التي عثر على أجزائها البعثة السعودية الألمانية عام ٢٠٠٦ ، ٢٠٠٩ نقلا عن André – Salvini , B . Babylone , p. 187, pl.109